الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارةالتعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي التبسي – تبسة –

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

مسائل الشعرية في كتاب الخيال الشعري عند العرب لأبي القاسم الشابـــــــي

قراءة من منظور نقد النقد

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي (ل.م.د)

تخصص:نقد حديـث و معاصـر

من إعداد الطالبتين:

-نسيمة عقيل

- نوال خليف

إشراف الدكتور:

- جويـــــني عسال

لجنة المناقشة :

الاستاذ	الرتبةالعلمية	الجامعـــــة	الصفـــة
رشيد منصر	أستاذ محاضر _ب_	جامعة العربي التبسي-تبسة-	رئيســا
جويني عسال	أستاذ محاضر _أ_	جامعة العربي التبسي-تبسة	مشرفـا ومقررا
رشيد سلطاني	أستاذ محاضر _أ_	جامعة العربي التبسي-تبسة	عضوا مناقشا

السنـةالجامعيـة: 2019/2018

بسم الله الرحمن الرحيم

شكـــــر و عرفـــان

الحمد لله على فضله وكرمه علينا بالصحة والعافية

و أن وفقنا لإتمام هذا العمل المتواضع ،

والصلاة والسلام على حبيبنا و نبينا محمد صلى الله عليه وسلاما وعملا

بموروثنا الإسلامي أنه من لم يشكر الناس

لا يشكر الله فنتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذنا الكريم الدكتور عسال جويني

لإشرافه على مذكرتنا وعلى صبره وتقديمه النصح و الإرشاد

حتى رأى هذا العمل النور على الرغم من ارتباطاته و إرتباطاتنا

فله منا جزيل الشكر و التقدير والإحترام وجعله الله في ميزان عمله

كما لا يفوقنا ان نتقدم بالشكر الجزيل إلى جميع أساتذة

كلية الأداب و اللغات بجامعة شيخ العربي التبسي بتبسة

الذين سهروا على تقديم الأفضل لنا و جاهدو من أجل نجاحنا

وتفوقنا طيلة المشوار الدراسي

فلهم منا فائق الإحترام و التقدير والشكر و العرفان

مقـــدمـــة

شكلت القناعة بما ينطوي عليه الخيال من فعالية كبيرة مناط اهتمام الفلاسفة و البلاغين و النقاد و إسهام في حل الكثير من المشكلات الأدبية القديمة و الحديثة. و لما كانت أيضا وسيلة تهيأ من وراءها دمج الواقع في لا واقع . من خلال جمع و تركيب العناصر المتباينة في علاقة جديدة و مبتكرة تعطي مجالا أوسع للشاعر- ليتحرر و لو بقدر محدود – من قيود عالم الحسد و تنمية, فالخيال عبارة عن ملكة يتوافر عليها الذهن للتخيل لا يتفاده صور أو إبداعها حيث شهد العصر الحديث العديد من التحولات و التغيرات الفكرية و الثقافية كانت ذلك نتيجة الانفتاح و الاحتكاك بالأخر و كانت من تابعيات هذا الانفتاح انتشار فكرة التجديد و التغير في الوطن العربي حيث تعالت صيحات المحدثين في المطالبة بضرورة تجديد الحركة النقدية و الأدبية و كان ممن عمل هذا اللواء إن الشبابية الذي اشتهر بموهبته الشعرية الغدة التي مكنته من أبناء يطرق الساحة الأدبية و بكل قوة حيث اتصف بالجرأة الأدبية الإنتفاضية القوية ضد التراث.

أبو القاسم الشابي (24 فبراير 699م-09اكتوبر 1934) الذي أبى إلاأن يشارك في تجديد و تطوير الحركة الأدبية و النقدية من خلال تجربة نقدية أسفرت عن جملة من الآراء التي سنخصص دراستنا للحديث عنها و مناقشتها من خلال كتابة الخيال الشعري عند العرب حيث تضمن الكتاب بعض الآراء و الأفكار الجزئية و جاء على شقين شق نظري تطرق فيه الشابي للتعريف بالخيال من منظوره الخاص و شق أخر تطبيق في الشعر و الأدب العربي و لهذا ارتأينا أن نقدم دراسة حول: هذا الموضوع بحث "***مسائل الشعرية في كتاب الخيال الشعري ضد العرب لأبي قاسم الشابي قراءة من منظور نقد النقد***"

و لقد وقعتنا لاختيار هذا الموضوع ***أسباب موضوعية*** منها أهمية كتاب الخيال في النقد العربي الحديث.

و من ***الأسباب الذاتية*** إعجابنا بشخصية أبو قاسم الشابي باعتباره انه مبدع و منظر في وقت نفسه و نظرا لهذه الأسباب قامت إشكالية الموضوع على النحو الآتي :

"قضية الخيال في التراث النقدي العربي".

و يدفعنا هذا الإشكال طرح جملة من التساؤلات منها :

- -كيف تناول النقد القديم و الحديث قضية الخيال ؟
- كيف نظر الشابي لقضية الخيال عند العرب؟

و بناء على ذلك قسمنا بحثنا إلى فصلين :

فصل الأول نظري تناولنا فيه مجموعة من العناصر من بينها :

- مفهوم الخيال في الدراسات الغربية ؛
- مفهوم الخيال في التراث الاغريقي؛
- مفهوم الخيال عند الفلاسفة العرب المسلمين؛
- مفهوم الخيال عند النقاد و البلاغيين.

و الفصل الثاني تطبيقي و فيه قدمنا أراء أبي قاسم حول مفهوم الخيال و موقفه من نقاد العرب القدامى و المحدثين.

و المنهج الذي اعتمدناه هو منهج التأويل والحصر كآليات لنقد النقد. واعتمدنا في هذا البحث على مجموعة من المراجع من بينها كتاب الخيال مفهوماته و وظائفه لعاطف جودة و كتاب الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي لجابر عصفور و كتاب الخيال من الفلسفة و الأدب لعلي محمد هادي الربيعي.....

و من أهم الصعوبات التي واجهتنا في هذه الدراسة هي كيفية ضبط المعلومات بينما هو نظري و ما هو تطبيقي.

و في الأخيرلا يسعنا في هذا المقام سوى شكر الله تعالى و مشرفنا عسال جويني على دعمه و صبره و حرصه الشديد على تقديم عمل متميز و مشرف نفتخر بيه . و أتمنى له المزيد من النجاح و التوفيق

مـــدخل نظـــري مفاهيمي

أولا :الشعرية المصطلح و المفهوم

تعد الشعرية (Poétique) من أهم المقاربات النقدية المعاصرة التي استهدفت قراءة النصوص والخطابات الأدبية والإبداعية والفنية من الداخل بحثا عن أدبيتها الوظيفية أو شعريتها الجمالية. ومن ثم، فهي نظرية معرفية ونقدية علمية تعنى بدراسة الفن الشعري بصفة خاصة، والاهتمام بالفنون الأدبية بصفة عامة.

1/ الدلالة المعجمية :

إن عدنا بهذا المصطلح إلى أصله اللغوي العربي وجدناه يعود إلى الجذر الثلاثي" شعر " وسنحاول تتبع المعاني التي يحملها من خلال المعاجم القديمة وتحليلها فيما بعد.

الشين والعين والراء أصلان معروفان يدل احدهما على ثبات" ورد في مقاييس اللغة أنالآخر على عِلْم وعَلَمٍ ... شعرت بالشيء،إذا علمت هو فطن..."[1]

ولم يبتعد لسان شعر فلان :"قال الشعر...وما شعرت به :مافَطِنْتُ هو لماعَلِمْتُه ، شَعَرَ : "بمعنى عَلِمَ ... وليت شعر بأي ليت علمي"[2].

وقال الأزهري :" الشعر القريض المحدود بعلام يجاوزها،والجمع أشعار وقائله شاعر لأنه يشعر بما لا يشعرغيره أي يعلم ...وسمي شاعر لفطنته" [3].

---

[1] ابن فارس،**مقاييس اللغة**،مادة شعر،ج3 ،ص: 209.

[2] الزمخشري،**أساس البلاغة**،دار صادر،بيروت،مادة " شعر "، ص: 331.

[3] ابن منظور،***لسان العرب***،مادة شعر المجلد 4،ج26،ص:2273.

2/ الدلالة الإصطلاحية :

تعددت الدلالات التي اتخذها مصطلح الشعرية مقبلا لنقاد بتعدد الصياغة المتبناة أصلا لهذا المصطلح وليس هدف هذه الدراسة تتبع هذه الاختلافات في وجهات النظر أو التتبع التاريخي الدقيق للتطورات التي شهدها هذا المصطلح،وإنما مجرد لفت الانتباه لذلك الخلاف الشائك القائم بين النقاد حول الشعرية، لهذا " يبدو أننا نواجه من جهة أولى –مفهوما واحدا بمصطلحات مختلفة ، ويبدو بارزا هذا الأمر في تراثنا النقدي العربي ونواجه مفاهيم مختلفة بمصطلح واحد من جهة ثانية ، ويظهر هذا الأمر في التراث النقدي الغربي أكثر جلاء".[1]

انطلاقا من ذلك يمكن القول أن: "الشعرية ليست تاريخ الشعر ولا تاريخ الشعراء...والشعرية ليست فن الشعر لأن فن الشعر يقبل القسمة على أجناس و أغراض...والشعرية ليست الشعرو لا نظرية الشعر...إن الشعرية في ذاتها هي ما يجعل الشعر شعر او ما يسبغ على حيز الشعر صفة الشعر و لعلها جوهره المطلق"[2].

فالشعرية "هي محاولة وضع نظرية عامة ومجردة و المحايثة للأدب بوصفه فن لفظيا ،إنما تستنبط القوانين التي يتوجها لخطا باللغوي بموجبها وجهة أدبية، فهي إذن، تشخص قوانين الأدبية في أي خطاب لغوي ،وبغض النظر عن اختلاف اللغات"[3].

3/ مفهوم الشعرية عند جون كوهن:

وصفت شعرية جون كوهن بأنها قريبة من الشعرية العربية خاصة القديمة منها وذلك كونها تقتصر الشعرية فقط على مجال الشعر يقول جونكوهن" الشعرية علم موضوعه الشعر»[1]لكنهم نظرة غيره للشعرية التي تشمل أنواع

---

[1] حسن ناظم، **مفاهيم الشعرية**، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء، المغرب، ط4، 1994م، ص:11.

[2] مرشد الزبيدي،***اتجاهات نقد الشعر العربي فيالعراق*** ،اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999 ،ص:1 :104.

[3] حسن ناظم،***مفاهيم الشعرية***،ص:9.

أخرمن الفن يقول" ثم أصبحت كلمة الشعرتطلق عليك الموضوع يعالج بطريقة فنية راقية ...كتب فاليريValeryنحن نقول عن مشهد طبيعي:انه شعري،ونقول ذلك أيضا عن بعض مواقف الحياة"[2] . فالشعرية في المرحلة الكلاسيكية التي مر بها الشعر كانت منحصرة فيه ثما تسعت فيما بعد لتشمل كل أصناف الإبداع الأدبي من جهة والإبداع الفني من جهة أخرى.

ولعل الملمح الأساسي الذي تقوم عليه شعرية جونكوهن هو مبدأ الانزياح اللغوي وهو يقوم عنده على"ثلاثة مستويات كبر بالمستوى التركيبي الصوتي والدلالي،مع حرصها الشديد على تضافر المستويين الصوتي والدلالي في الحكم عل شعرية النصوص حيث لميكن التمييز بين الشعر و النثر إلا من خلال تضافر هذين المستويين"[3]

4/ مفهوم الشعرية عند تودوروف:

تتسع الشعرية عند تودوروف لتشمل كلا من الشعر والنثر كون هذين النمطين يجمعهما رابطة أدبية، يقول تودوروف " ليس العمل الأدبي في حد ذاته هو موضوع الشعرية فما تستنطقه هو خصائصه ذا الخطاب النوعي الذي هو الخطاب الأدبي...فإن هذا العلم (الشعرية)لايعنى بالأدب الحقيقي بل بالأدب الممكن...وبعبارة أخرى يعنى بتلك الخصائص المجردة التي تصنع فرادة الحدث الأدبي". [4]، فالشعرية في نظره لاتهتم بالأدب بقدر ما تهتم بتلك الخصائص التي تميزه عن كافة أنواع الإبداع الأخر .

أهذه الخصائص هي التي تضبط قيام كل عمل أدبي و نثري تكسبه صفة الأدبية.

---

[1] جون كوهن،**النظرية الشعرية** ،ترجمة احمد درويش،دار غريب القاهرة، ط2000،4،ص:29.

[2] **المرجع نفسه**،ص:29.

[3] بشير تاوريت،**رحيق الشعرية الحداثية**،مطبعة مزوار،دط،دت،ص:32.

[4] تزفيتانتودوروف،***الشعرية***،ترجمة : شكري المبخوت و رجاء بن سلامة، دار توبقال،ط 2 ،1990، ص: 23.

من خلال تركيز و دور وفعل النظرية الأدبية نجده يحدد مجالات الشعرية في النقاط التالية:

- "تأسيس نظرية ضمنية للأدب .
- تحليل أساليب النصوص .
- تسعى الشعرية إلى استنباط الشفرات المعيارية التي ينطلق منها الجنس الأدبي"[1].

لقد تراوحت مجالات الشعرية عند تودوروف بين المجالين النظري،والتطبيقي المتمثل فيتحليل أساليب النصوص ومن ثم استخراج المعايير التي تضبط ولادة كل عمل أدبي ،فالنظرية الضمنية للأدب هي التي تنطلق من الأدب بحد ذاته بعيدا عن العوامل الخارجية المؤثرة فيه.

5/ مفهوم الشعرية عند رومان جاكبسون:

تختلف شعرية جاكبسون عمن سبقه كونه مثل أحد أعلام اللسانيات ولهذا فرؤيته للشعرية متأثرة بالمبادئ اللسانية وهو ينطلق في تحديد موضوع الشعرية من سؤاله الشهير" إن موضوع الشعرية هو قبل كل شيء الإجابة عن السؤال التالي: ما الذي يجعل من رسالة لفظية أثرا فنيا"[2]

أي البحث في الميزات والخصائص التي يختص بها الخطاب الأدبيون كسبه تلك الجمالية ،ثم يربط جاكبسون بين الشعرية واللسانيات بقوله: " إن تحليل النظم يعود كليا إلى كفاءة الشعرية،و يمكن تحديد الشعرية باعتبارها ذلك الفرع من اللسانيات الذي يعالج الوظيفة الشعرية في علاقاتها مع الوظائف الأخر للغة .وتهتم الشعرية بالمعنى الواسع

[1] عبد الله محمد الغذامي،**الخطيئة و التكفير**،ص:23.

[2] رومان جاكبسون ، ***قضايا الشعرية*** ،ترجمة محمد الولي ومبارك حنون ، دار توبقال ، ط 1 ، 1988 ، ص23.

للكلمة، بالوظيفة الشعرية لافي الشعر فحسب حيث تهيمن هذه الوظيفة على الوظائف الأخرى للغة ، وإنما تهتم بها أيضا خارج الشعر حيث تعطي الأولوية لهذه الوظيفة أو تلك على حساب الوظيفة الشعرية "[1] .

فشعرية جاكبسون لا تقتصر على الشعر وحده وإنما تشمل كافة أنواع الخطاب اللغوية والأدبية ،لكنه مع ذلك يحرص على تضييق مجالا لشعرية في دراسة الوظيفة الشعرية باعتبارها الوظيفة السائدة في الخطاب الأدبي مع وجود الوظائف الأخرى للغة وهذه الوظائف حددها بوهلر قبل جاكبسون ولكن تنبه فقط لثلاث وظائف منها، أفاد منها جاكيسون في استنباط بقية الوظائف حيث يقول "إن النموذج التقليدي للغة كما أوضحه على وجه الخصوص بوهلر يقتصر على ثلاث وظائف "buhler" –انفعالية و إفهامية ومرجعية.."[2].

[1] ***المرجع نفسه*** ، ص35.

[2] *رومان جاكبسون* ، ***قضايا الشعرية*** ، ص35.

الفصـــل الأول:

الخيال: جينيالـوجيـا المصطلـح

تمهيـــــد:

كثيرا ما ارتبط مفهوم بما قدمه فلاسفة اليونان، و قد بلغ نقادنا العرب القدامى مبلغا هاما في استيعاب الفكر اليوناني، بل تعدوه إلى عطاءات هامة في مجال مفهوم الإبداع و طبيعته، ومن بين القضايا التي اثارت جدلا واسعا هو مفهوم الخيال بوصفه عماد العملية الشعرية فقد تناوله الفلاسفة والعلماء و البلاغيون والنقاد كل نظر اليه من زاوية معينة تعبر عن نظرته و توجهه و لئن اختلفت الآراء حوله فلا احد ينكر دوره الريادي في صنع العمل الإبداعي وإبرازا لذلك سنحاول في هذا المدخل الاقتراب من ماهية الخيال .

أولا: الخيال المصطلح و المفهوم

1 /الدلالة المعجمية :

للخيال تعريفات عدة فالخيال أصله ما يتخيله الإنسان في منامه لأنه يتشبه و يتلون و أيضا خيال الإنسان في المرأة أو الظل كما ورد في لسان العرب.

"خال الشيء خيلا و خيلة و خيلانا و مخايلة و مخيلة و خيلولة : ظنه و الخيال و الخيالة هي ما تشبه لك في اليقظة و الحلم من صورة ، و جمعه أخيلة و الخيال أيضا كساء أسود ينصب على خشبة أو عود يخيل به للبهائمو الطير، فتظنه إنسانا و تطلق على نوع من النباتات و خيل عليه تخبيلا وجه إليه التهمة".[1]

"و الخيال و الخيالة : الشخص و الطيف و خيل إليه أنه كذا على ما لم يقع فاعله من التخيل و الوهم ، و تخيل له أنه كذا أو تخايل أي تشبه يقال تخيله فتخيل له كما يقال تصور له"[2]

وورد في المعجم الوسيط (خال) فلان خيلا :" تكبر و توسم و تفرس ، و الفرس و غيره :ظلع و غمز في مشيه . و الشيء خيلا ،و خيلانا: ظنه".[3]

ورد في مقاييس اللغة لإبن فارس :"خيل: الخاء و الياء و اللام أصل واحد يدل على حركة في تلون فمن ذلك الخيال و هو الشخص ، و أصله ما يتخيله الإنسان في منامه لأنه يشبه به و يتلون ،و الخيل معروفة ، و يقال تخيلت السماء إذا تهيأ للمخيلة ، السحابة"[4]

---

[1] ابن منظور، **لسان العرب** ،دار صادر بيروت،لبنان،1990،د ط ،ص266.

[2] الفيروز ابادي، **القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة** ، 2005،ط2،ص372.

[3] معجم اللغة العربية ،**المعجم الوسيط، ج1**،ط3،ص275.

[4] احمد بن فارس ، **مقاييس اللغة** ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، 2ج،1982، ص235.

ورد في أساس البلاغة للزمخشري،حيث عرف الخيال بقوله في مادة خ.ي.ل. "فيه خيلاء. و مخيلة و هو يمشي الخيلاء .و إياك و المخيلة و أشبالالإزار.واختال في مشيته و تخيل و خايله فأخذه و أخطأت في فلان مخيلتي أي ظني ، و رأيت في السماء مخيلة و هي السحابة تخايلها ماطرة لرعدها و برقها و أخال عليه الشيء و أشتبه و أشكل و أفعل ذلك على ما خيلت أي على ما ارتك نفسك و أوهمت"[1].

و قوله تعالى:"يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى"[2].يخيل بمعنى يشبه أي يحمل على التوهم .

و الخيال هو:"الشخص و الطيف و صورة تمثال الشيء في المرآة ما تشبه لك في اليقظة المنام من صور و هو أيضا الظن و التوهم".[3]

من خلال هذه التعاريف تبين أن كلمة الخيال تدل على الطيف و الوهم و أشتبه من صور في ذهن الانسان .و بما انها القدرة على إستحضار الصور إذن هي عملية ذهنية يقوم بها كل إنسان .مثلا أتخيل أنني في مكان بعيد مكة المكرمة ، هذا يشبه الحلم لأنني إستحضرت صورة مكة فقط دون الذهاب اليها .

2/ الدلالة الاصطلاحية:

الخيال إصطلاحا "هو تلك العملية التي تؤدي الي تشكيل مصورات ليس لها وجود بالفعل او القدرة الكامنة على تشكيلها"[4].

---

[1] جار الله الزمخشري،**اساس البلاغة**، المكتبة العربية للطباعة و النشر،بيروت،2003،ص245.

[2]**سورة طه**،الآية 66.

[3] جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**،الشركة العالميةللكتاب،بيروت، لبنان ،1991،ص546.

[4] مجدي وصبة، **معجم مصطلحات الادب** ، مكتبية لبنان، بيروت،1974،ص166.

أي أن الخيال عنصر مهم في الإبداع "و هو القوة ذاتها التي تجعل المبدع يربط بين الأشياء المختلفة و هنا تتجلى براعة الكاتب المبدع الذي يحسن توظيف الخيال في الربط بين الأشياء التي لاتوجد صلة بينها كما تبدو في أعين الناس"[1].

و الخيال هو "القدرة على تكوين صورة ذهنية للأشياء غابت عن متناول الحس و لاتنحصر فاعلية هذه القدرة في مجرد الإستعادة الألية لمركبات حسية ترتبط بزمان أو مكان بعينه بل تمتد فاعليتها إلى ما هو أبعد و أرحب من ذلك فتعيد تشكيل المدركات و تبني منها عالما متميزا في حدته و تركيبه لو تجمع بين الأشياء المتنافرة و العناصر المساعدة في علاقات فريدة تذيب التنافر و التباعد و تخلص الانسجام و الوحدة"[2].

و الخيال ايضا عبارة "عن ملكة يتوافر عليها الذهن للتخيل لإستعادة صور أوإبداعها"[3].

و منه فالخيال ملكة الذهن تمثل أشياء أو وقائع غير واقعية أو غير قابلة للحدوث و الإدراك اي انه إستحضار الذاكرة لمدركات أو تجارب داخلية.و في مجال الأدب قد "يعد الخيال بناء وهمي يقوم به الذهن إعتمادا على الإختراع و الإبداع."[4]

يتضح من خلال هذا التعريف لمفردة الخيال imagination في بعض المعاجم الاجنبية انها تعني تلك الملكة الذهنية التي تقوم بإستعادة بعض الصور او ابداع صورة جديدة.

---

[1] كمال **نشأة، النقد الادبي دراسة و تطبيق**،مطبعة النعمان،1970،ص28.

[2] جابر عصفور ،**الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي** ،المركز الثقافي العربي ،بيروت،ص ص:15/3.

[3] Jeau pierre mével.larousseparis.geneoiéreluibelot.larosse de la langue francaise.librairie.1977.tone1.p934.

[4] Patrikbacry.milenemoussemaine.larousse dictionnaire .imprimé en France.1999.p782.

ثانيا:مفهوم الخيال في الدراسات الغربية.

1/ الخيال في التراث الاغريقي:

أ/ مفهوم الخيال عند أفلاطون "427-347ق.م"

ينبع مفهوم الخيال لدى أفلاطون من نظرته العامة للشعر فكل الفنون عنده قائمة على المحاكاة و الشعر من بينها الا انه يرى ان المحاكاة الشعرية " تفسد إفهام السامعين"[1]

لكونها تقدم معارف غير حقيقية و مزيفة،لاعتمادها على المحسوسات،هذه الأخيرة جزئية لا ترقى إلى الحقيقة التي لا يمكن إدراكها عن طريق العقل لذلك "فأفلاطون باسم الحقيقة و الفضيلة يحقر المحاكاة و جميع الفنون التي تعتمدها و نصوص الشعر موجب طردها من دولته المثالية:دولته عقلية منظمة ، و الشعر عاطفي قلق فضلا عن انه ضار حقير"[2].

و الشعراء في نظره تابعين لآلهة الشعر التي تقوم بإلهامهم لذلك فالشعراء ليسوا أحرار في قول الشعر فهو لايقوم الا بترديد ما يلهم به فهو "ملهم منشد تبث الآلهة حديثها على لسانه"[3]

من هذا المنطلق كان الخيال عند أفلاطون نابعا من هذا المفهوم فهو نوع من الجنون العلوي تولده ربة الشعر في نفس الشاعر منكرا أي دور له لأنه يعتبر "كل الشعراء المجيدين شعراء الملاحم و شعراء الغناء على السواء يؤلفون شعرهم الجميل عن فن أوحذف،و لكن يوحي إليهم و لان روحا تنقصهم"[1]

---

[1] افلاطون، ***جمهورية افلاطون***،نقله الى العربية حنا خباز-بيروت- 1969،ص:28.

[2] مصطفى جوزيف :***نظريات الشعر عند العرب –الجاهلية و العصور الإسلامية***-دار الطليعة للطباعة و النشر،بيروت،لبنان ، ط1،ج1،ص:90.

[3] أفلاطون، ***جمهورية أفلاطون*** ،ص:19.

فأفلاطون بهذا الرأي ينفي أي مقدرة للشعراء و ما جبلوا عليه من طبع و مؤهلات ذاتية تجعل منه شاعرا و تميزه عن غيره لهذا وجدناه يساوي بين الشعراء و أصحاب الحرف في المقدرة على قول الشعر.

مع ذلك نجد أفلاطون يعترف بدور الخيال في استحضار الرؤية الصوفية وان ظلت سلطة العقل هي الطاغية "لا كنه ما لبث في محاورة طيماوس ان اعترف للخيال بالقدرة على استحضار الرؤية الصوفية تلك التي تسمو على مايتناوله العقل و في محاولة تثبيت ذهب أفلاطون الى ان التخيل و التذكر و إدراك المحسوسات المشتركة ،وظائف للعقل لا الحس و ان أعضاء الحس لا تدرك الخصائص المشتركة بين موضوعات الحس و انما يدرك ذلك العقل و التخيل عنده يرسم في موضوعاته التي تصبح مادة التفكير و هكذا يؤدي التخيل وظفتين : استعادة صور المحسوسات و استخدام الصور الحسية في التفكير"[2].

و لما كان العقل هو المسيطر على الفكر الأفلاطوني،فقد جعل الخيال مصدر للوهم و دافعا للخطأ لاعتماده على ما تقدمه الحواس من مدركات فهي تحاكي الواقع الذي هو أيضا غير حقيقي لأنه محاكاة لعالم الحقيقة عالم المثل او عالم الكليات لذلك كان ما يقدمه الخيال اعتمادا على ما سبق ما هو الا أوهام و تضليل للمتلقي.

من خلال ما سبق لا نجد عند أفلاطون مفهوما واضحا للخيال فهو وسيلة للتضليل و الإيهام كما لا نجد لديه حديثا عن كلمة التخييل الشعري و ما تحدثه تلك النصوص الشعرية من تأثير في المتلقي ،ولعل السبب في ذلك رؤيته للشعر بأنه ضعف و ما يتركه من أثر في المتلقي سيزيده ضعفا و تضليلا و يبدو شيئا من التناقص عند افلاطون حيث يقلل أحيانا من قيمة الخيال معتبرا اياه وظيفة للنفس غير السامية لأنها مصدر للوهم و سبيلا للخطأ.

---

[1] سهير القلماوي ، ***فن أدب المحاكاة***،مكتبة الحلبي،القاهرة،1953،ص:76.

[2] الحسين الحابل،**الخيال أداة للابداع**،مطبعة المعارف الجديدة،الرباط المملكة المغربية، 1988،ص:23.

ب / مفهوم الخيال عند ارسطو "384-322ق.م"

"خالف أرسطو نظرة أستاذه أفلاطون للشعر فما يولد الشعر لدى الشعراء هو غريزة المحاكاة و غريزة حب الوزن،و ليس الوحي و الإلهام كما ذهب أفلاطون ".[1]

نظر أرسطو إلى الخيال على انه نوع من الحركة الحاصلة في الذهن و الناتجة عن المدركات الحسية حيث ان "التخيل الحركة المتولدة عن الإحساس بالفعل،ولما كان البصر هو الحاسة الرئيسية فقد اشتق التخيل فنطاسيا،phantasiaاسمه من النور فاوسphaos اذ بدون النور لا يمكن ان نرى و لما كانت الصور تبقا فيفا و تشبه الإحساسات فان الحيوانات تفعل أفعالا كثيرة بتأثير،بعضها لا يوجد عندها عقل و هذه هي البهائم و بعضها الأخر لان عقلها يحجب بالانفعال او الأمراض،او النوم كالحال في الإنسان".[2]

"يركز أرسطو على حاسة البصر في إدراك المحسوسات اكثر من غيرها و اعتماد التخيل عليها بصورة كبيرة لهذا كانت الحركة الذهنية المعتمدة على المحسوسات تشبه التي يدركها الحس اي ان الخيال هو الحركة الناشئة عن الإحساسات في الذهن".[3]

لا يختلف أرسطو عن أستاذه أفلاطون في إعطاء السلطة للعقل و فرض وصاية على الخيال الذي يبقى قاصرا عن الوصول إلى المعرفة رغم اعترافه بأهميته.حيث جعل أرسطو التخيل وسيطا بين الإحساس و العقل و ذلك من خلال ربطه للتخيل بالتفكير مؤكدا على ضرورة تقييده بالعقل. "و هو ما يسميه النزوع و هذا المصطلح نجده يتكرر عند الفارابي و هو ما يعكس تأثره بأرسطو و رغم إقرار أرسطو بأهمية الخيال إلا انه أعقل الحديث عن

---

[1] ارسطو طاليس:**كتاب النفس**،نقله الى العربية احمد فؤاد،دار احياء الكتب العربية،ط2،1962،ص:107.

[2] ***المرجع نفسه***:ص:107.

[3] ارسطو طاليس،***كتاب ارسطو طاليس في الشعر*** ،نقله الى العربية بشر متى بن يونس،تحقيق عبد الرحمان بدوي،دار النهضة المصرية ،1953م،ص:244.

دوره الجمالي في العملية الإبداعية و ما يقوم به من تشكيل لصور جديدة اعتمادا على الجمع و التركيب بين الأشياء

المتباعدة و على الرغم من ان أرسطو ينص في حديثه على انه لا يمكن للقوة العقلية ان تمارس وظيفتها بدون عون الخيال فانه مع ذلك يعيب الخيال من حيث هو بدون وصاية العقل عليه و يخلط بينه و بين التوهم".[1]

[1] محمد غنيمي: ***النقد الادبي الحديث***،دار نهضة مصر،القاهرة،ص ص:114-115.

ثالثا: الخيال في التراث النقدي العربي:

1/ الخيال عند الفلاسفة العرب المسلمين:

ا/مفهوم الخيال عند الكندي(252هـ)

يظهر تأثر الكندي بالثقافة اليونانية جليا حيث جعل التخييل مرادفا للتوهم و هو ما يقال كلمة فنطاسيا في اللغة اليونانية و التي تعني النور و يرجع البعض ذلك الى الترجمة "التوهم هو الفنطاسيا فوة نفسانية و مدركة للصور الحسية مع غيبة طنينها، و يقال الفنطاسيا هو التخييل و هو حضور صورة الأشياء المحسوسة ".[1]

فالكندي قد سار على نهج سابقيه اذ جعل الخيال مراد فالوهم و قوة إنسانية مضللة و لم ينظر اليه كقوة فعالة تتجاوز حفظ الصور الأشياء الغائبة عن الحس الى التصرف في هذه الصور بالفك و التركيب لتكوين صورة جديدة و من هنا اغفل الكندي الحديث عن الجانب الجمالي للخيال و دوره في العملية الشعرية او العملية الإبداعية بشكل عام و كذلك ما يتركه هذا العمل من تأثير في الملتقي بتحريكه لاحقا لأنه و جعله يتجاوب مع هذا العمل او ينفر منه و بهذا فقد اهمل الحديث عن العملية الإبداعية و عن دعامتها و هما الخيال و التخييل.

[1] ابو يوسف يعقوب بن اسحاق الكندي،***رسائل الكندي الفلسفية***،تحقيق محمد عبد الهادي ،دط،دار الفكر العربي،القاهرة ،1950،ج1،ص:167.

ب/مفهوم الخيال عند الفارابي (339هـ).

يعتبر الفارابي عملية الإبداع الشعري صناعة أساسها الروية و ليس الطبع او الإلهام كما ورد عند أفلاطون و أرسطو.

و لم يتحدث الفارابي عن الخيال الا مرة واحدة معتبرا إياه خزانة لما يدركه الحس و يطلق عليه اسم المصورة و قد ربط الفارابي الأدب بالفلسفة جاعلا الشعر احد أجزاء التفكير الفلسفي و كانت نظرته الى المحاكاة منطلقا نفسيا حيث رأى ان المحاكاة الشعرية عند أرسطو بها بعض الثغرات و هو ما دفعه للحديث عن طبيعة التخييل الشعري و مدى تأثيره في القوة النزاعية للمتلقي جاعلا التخييل جوهر الشعر و عماده.

و يعتبر الفارابي أول من استعمل لفظ (تخييل) "اخذا اياه ممن سبقه من الذين ترجمو كتاب (فن الشعر)لأرسطو فقط استعمله منى بن يوسف(328هـ) في ترجمته لكتاب الشعر لكن مصحفا (التجميل أو التبجيل)".[1]

و الفرابي لم يحدد معنى التخييل و طبيعته و لكنه تحدث عن الأثر الذي يتركه العمل الأدبي في نفس المتلقي "يعرض لنا عند استماعنا للأقاويل الشعرية عند التخييل الذي يقع عن عنها في أنفسنا شبيه بما يعرض عنه نظريا الي الشيء الذي يشبه ما نعاف :فإننا في ساعتنا يخيل لنا في ذلك الشيء انه مما يعاف فتنفر أنفسنا منه فنتجنبه وثقنا انه ليس الحقيقة كما نتخيل ،فنفعل فيما تخيله لنا الاقاويل الشعرية ،وان علمنا ان الامر ليس كذلك كفعلنا فيما لو ثقنا ان المر كما خيله لنا ذلك القول فان الانسان كثيرا ما تتبع اكاره تخيلاته ...انما تستعمل الاقاويل الشعرية في مخاطبة إنسان ينهض لفعل شيء.."[2]،و قد شبه اثر التخييل في المتلقي بالأثر الذي تتركه المحاكاة في النفوس عند أرسطو اذ تعمل على اثارة انفعالات المتلقي مما يؤدي الى تطهير النفوس مما بداخلها.

---

[1] محمد غرام:***المصطلح النقدي في التراث الادبي العربي*** ،دط،دار الشرق العربي:ص:25.

[2] مصطفى الجوزو :***نظريات الشعر عند العرب الجاهلية و العصور الاسلامية*** ج1،ص:116-115.

و يروي الفرابي ان الشاعر ان يهيأ الجو المناسب الذي يمكنه من احداث التأثير في المتلقي عن طريق ما يسميه (الإحاء).

و التأثير في المتلقي هو الغاية التي يسعى الشاعر لتحقيقها من خلال عمله ، وذلك عن طريق أقوال مخيلة ،تثير ما بذاكرة المتلقي من أشياء تتناسب و موضوع القصيدة فينتج عنها موقفا سلوكيا ما فيقف مع او ضد موضوع التخييل الشعري الذي تطرحه القصيدة "و الاقاويل الشعرية هي التي تركب من اشياء شأنها أن تخيل في الامر الذي فيه المخاطبة حالا أو شيئا افضل انس ،و ذلك اما جمالا او قبحا او جلالا او هوانا او غير ذلك "[1].

و بذلك يكون التخييل عملية ايحائية يعتمدها الشاعر من خلال التصوير الشعري .

و الفرابي كغيره من الفلاسفة يعطي سلطة كبيرة للعقل،فهو ما يعصم عن الوقوع في الخطأ و يعتمد هذا الدور لشمل الانفعالات الناتجة عن العملية التخييلية" و ذلك اما بأن يكون الانسان المستدرج لارؤية ترشده فينهض نحو الفعل الذي يلتمس منه بالتخييل ،فيقوم له التخييل مقام الروية ،واما ان يكون انسانا له روية في الذين يلتمس منه ،و لا يؤمن اذ روى فيه يمتنع فيعالجبالأقاويل الشعرية لمتسبق بالتخييل روية حتى يبادر الى ذلك الفعل فيكون منه بالعجلة قبل ان يستدرك برويته ما في عقبى ذلك بالفعل فيمتنع منه أصلا ،او يتعقبه فيرى ان لايستعجل فيه و يؤخره الى وقت اخر."[2]

و بذلك يكون التخييل الشعري –حسب الفرابي– عملية ايهام و يعكف من خلالها الشاعر على خداع المتلقي ،و التأثير فيه من خلال أقاويل مخيلة و توجيه سلوكه الى الوجهة التي يريده أن يتجه اليها لانه يرى ان بين السلوك الذي يرى الشاعر الى تحقيقه من قبل المتلقي و الانفعال الناتج عن تلك الاقاويل علاقة نفسية قوية .

[1] ابو نصر بن طرخان الفرابي:***احصاءالعلوم،تحقيق عثمان امين*** ،دط،دار الذكر العربي،القاهرة ،1948م،ص:85-81.

[2]الفرابي:***احصاء العلو***م،ص:69-68.

و التخييل من خلال ما يحتويه من صور تأثر في المتلقي و تثير انفعالات تؤدي الى التطهير و هنا يظهر أثر أخر لأرسطو على فرابي.

ج/مفهومالخيال عند ابن سينا (428هـ).

تجاوز ابن سينا رأيأرسطو حول التخيل بانه " إحساس ضعيف جاعلا منه ثاني قوى الحس الباطن و مكانها مقدم الدماغ و يسميهالمصورة حيث انها القوة التي تحفظ ما قبله الحس المشترك من الحواس الجزئية و تبقى فيه بعد غيبة المحسوسات ".[1]

قد قصر ابن سينا دور المصورة على حفظ الصور في المقدمة من قبل الحواس دون التصرف فيها كما نظر ابن سينا الى التخيل الشعري على أنه نوع من "الفيض" أو الوحي و الالهام الغامض الذي يحدث في اليقضة .

فالشاعر يدرك أشياء لا يدركها غيره و هذا بحسب تأهله له استعداداته الفطرية من قدرة على قول الشعر و يكون بذلك الشاعر عند حدوث الإلهام اقرب من درجة النبوة و الشبه بينهما في تلقي الوحي او الإلهام مع وجود الفارق " و ليس احد من الناس لا نصيب له من اثر الرؤيا و من حال الادراكات التي تكون في اليقظة فان الخواطر التي تقع دفعة في النفس انما يكون سببها اتصالات ما لايشعر بها ولا بما يتصل قبلها او بعدها فتنتقل النفس منها الى شيء اخر غير ما كان عليه مجراها و قد يكون ذلك من كل جنس فيكون من المعقولات و يكون من الإنذارات و يكون شعرا و يكون ذلك بحسب الاستعدادات و العادة و الخلق و هذه الخواطر تكون لأسباب

[1] ابو علي الحسين بن عبد الله بن سينا :***النجاة في المحكمة المنطقية و الطبيعية و الالهية***،ط2،مطبعة السعادة ،القاهرة،1938م،ص:163.

تحن للنفس مسارعة في اكثر الامر و تكون كالتلويحات التي تقرر فتذكر الا ان تبادر اليها النفس بالضبط الفاضل و يكون اكثر ما تفعله ان تشغل التخيل بجنس غير مناسب لما كان فيه."[1]

و لما كانت تلك الإلهامات تحدث دفعة واحدة و بشكل غير مقصود كان لابد من وصاية العقل عليها و فرض رقابته المستمرة لأنها تفرض نفسها على الشاعر لذا غدور العقل هو تنظيم هذه الإلهامات بما يتناسب و المقام و المقال و بذلك يكون ابن سينا مصرا على جعل الشعر قياسا منطقيا.

و العمل الإبداعي – حسب رأيه – يكون على شكل ومضات خاطفة تحدث في الذهن لتكتمل في صورة نهائية على شكل عمل تام .

و قد وقع ابن سينا في شيء من الخلط حين " اعتبر الخيال حيلة صناعية و جعله ضربا من الفطنة و نوعا من الذكاء المحدود و المهارة اللغوية التي يصطنعها الشاعر اصطناعا يتوسل اليه بطرائق من الحيل تؤول الى تناسب الاجزاء في سياق التشابه أو التخالف".[2]

و السبب في ذلك نظرته الى الشعر على انه قياس منطقي فجعل من الخيال وسيلة يلجأ اليها الشاعر للتحايل و خداع المتلقي من خلال توسله للغة عن طريق نظمها بشكل يمكنه التأثير في المتلقي فهو حيلة يصطنعها في ابداعه مستعملا ما امكنه من وسائل و طرق ." ان القول الشعري يتألف من مقدمات مخيلة،و تكون تلك المقدمات موجهة تارة بحيلة من الحيل الصناعية نحو التخييل و تارة لذواتها بلا حيلة من الحيل و هي أن تكون اما في لفظها مقولة باللفظ البليغ الفصيح بحسب اللغة ا وان تكون في معناها ذات معنى بديع في نفسه بلا حيلة قارنته".[3]

---

[1] ابو حسن بن عبد الله بن سينا،***شرح كتاب النفس*** ،نقلا عن الفت كمال الربي :نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد،ط1،دار التنوير،للطباعة و النشر ،بيروت لبنان ،1983م،ص:64.

[2] عاطف جودة نصر،***الخيال و مفهوماته ووظائفه*** ، ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،دط، 1984م،ص:149.

[3] ***المرجع نفسه***،ص:151.

فالخيال الشعري إبداع و قدرة على أشياء جديدة بطرق خاصة و في حديث ابن سينا عن التخييل حاول توضيح بعض الأمور التي بدت غامضة عتد الفرابي.

لقد جعل ابن سينا مصطلح التخييل مقترنا بالمحاكاة و مفسرا لها فالتخييل هو ذلك الأثر النفسي الذي يتركه العمل الأدبي في المتلقي بالإعجاب او النفور "فهو انفعال من تعجب او تعظيم او تهوين او تصغير او نشاط من غير ان يكون الغرض بالقول إيقاع اعتقاده البقية".[1]

لقد ربط ابن سينا التخييل بالانفعال و هو تلك الحالة الشعورية التي تحدثها العملية التخييلية في المتلقي و الانفعال عند ابن سينا لا يعني فقدان القدرة على التصرف بقدر ما يعني " الإذعان و المطاوعة" للكلام الشعري اي التجاوب مع هذا الكلام و موافقته و هذا الربط بين التخييل و الانفعال له علاقة بما قاله أرسطو عما تحدثه المأساة في المشاهد بتحريكها الانفعالي الرعب و الشفقة فيؤدي ذلك الى حدوث التطهير .

2/ الخيال عند النقاد و البلاغيين:

كان انعكاس أراء الفلاسفة المسلمين في مجال البلاغة و النقد واضحا فقد اعتبروا الشعر كلاما مخيلا يستند الى مقدمات مخيلة لا اعتبار للصدق و الكذب فيها و بذلك ادخل التخييل في قوالب المنطق.

و في ربطهم للتخييل الشعري بمسألتي الصدق و الكذب تأثر برأي ابن سينا " القول الصادق اذا حرف عن العادة وألحق به شيء تستأنس به النفس فربما أفاد التصديق و التخييل معا و ان رأي مادة من المواد التخييل كالعادات و الأفعال".[2]

---

[1] عاطف جودة نصر،***الخيال و مفهوماته ووظائفه***،ص:153.

[2] ابن سينا :فن الشعر ، ***من كتاب الشفاء ضمن فن الشعر*** ،ترجمة عبد الرحمان البدوي ، ،دار الثقافة ،بيروت دط ،1973م،ص:162.

و من هذا المنطلق قاس الخيال الشعري تارة بمعايير صورية و أخرى بمعايير أخلاقية و قد نتج عن تأثر النقاد و البلاغيين بالمنطق الأرسطي اثارة العديد من القضايا الهامة لعل أهمها مشكلة اللفظ الأرسطيإثارة العديد من القضايا الهامة لعل اهمها مشكلة اللفظ و المعنى و ما نتج عنها من جدل كبير انتهى بحله،من خلال وضع عبد القاهر الجرجاني لنظرية النظم و سيحاول البحث التطرق لبعض الآراء عند الخيال عند البلاغيين و النقاد .

ا/مفهوم الخيال عند ابن طباطبا.

لقد تحدث ابن طباطبا عن طيفية نظم الشاعر لقصيدته ،بأنه يفكر أولا معملا ذهنه لتصوير أشياء مختلفة ثم يعمل على نقل هذا التصور الى صور مجسدة للمعنى الذي يريده و بهذا يكون النظم قد مر بالتفكير قبل البدء في الصياغة " فاذا اراد الشاعر يناء قصيدة مخض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه فكرة نثرا و اعد له ما يلبسه اياه من الالفاظ التي تطابقه و القوافي التي توافقه و الوزن الذي يسلسل له القول عليه فاذا اتفق له بيت يشكلا لمعنى الذي أثبته و عمل فكرة في شغل القوانين بما تقتضيه من المعاني... ثم يتأمل ما قد أداه اليه طبعه و نتيجة فكرته فيستعصي انتقاده يرمم ما و هي منه و يبدل بكل لفظه مستكرهة لفظة سهلة نقية".[1]

و في هذا الكلام حديث عن الصورة التي يتخذها المعنى بعد صياغته و التعبير عنه من خلال الألفاظ و إشارة خفية إليان الصورة المنتجة مصدرها الخيال .

[1] محمد بن احمد ابن طباطبا:***عيار الشعر*** ،تحقيق طه الحاجري و محمد زغلول سلام ، ،المكتبة التجارية،القاهرة ، دط ،1956م،ص:5.

و لكننا لا نجد حديثا صريحا لابن طباطبا عن الخيال و لا عن التخييل كجوهر للعملية الإبداعية فهو " يرفض الخيال او يكاد يرفضه و يستعيض عنه بنظم لغوي يميز الشكل على اساس من صحة ذوق الشاعر و سلامة طبعه و بامتلاكه أدوات تتوفر بالضرورة قبل تكلفة النظم".[1]

ب/مفهوم الخيال عند عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ)

استمد عبد القاهر الجرجاني مفهومه للخيال من فهمه للمعنى اللغوي للأية القرآنية الكريمة :" قال بل القوا فاذا حبالهم و عصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى"[2]

و التخييل في هذه الآية يعني إيهام النفس و خداعها بفعل السعر لذلك نجده يعرف التخييل بانه " ما بثبت الشاعر أمرا هو غير ثابت أصلا و يدعي دعوة لا طريق الى تحصيلها و يقول قولا لا يخدع فيه نفسه و يريها مالا ترى ".[3]

فالشاعر من خلال التخييل يقوم بخداع نفسه هو و إيهامها هو ليس حاصلا،فهو الذي لا يمكن الحكم فيه على الشاعر بقول الصدق او الكذب،لهذا فالتخييل "خداع للعقل و ضرب من التزويق".[4] و مذهب عبد القاهر الجرجاني في التخييل يشبه ما ذهب اليه بعض المتأخرين في اعتبارهم التخييل مرادفا للإيهام و حسن التحليل و التأكيد .

---

[1] احمد كمال زكي :***النقد الأدبي اصوله و اتجاهاته*** ، ،دار النهضة العربية للطباعة و النشر ،بيروت، دط ،1981م،ص:120.

[2] ***سورة طه*** :الآية 66،ص:316.

[3] عبد القاهر الجرجاني ،***اسرار البلاغة*** ،تحقيق محمد الفاضلي ،ط2،المكتبة العصرية ،بيروت،1999م،ص:205-204.

[4] ***المرجع نفسه*** ،ص:204.

يبدو ان عبد القاهر يقع في شيء من الاضطراب في فهم وظيفة الخيال و ذلك بخلطه بين الاستعارة و التخييل " و اعلم ان الاستعارة من قبيل التخييل لان المستعير لا يقصد إثبات معنى اللفظة المستعارة و انما يعمد الى إثبات شبه هناك فلا يكون مخبره على خلاف خبره".[1]

فالجرجاني في اجزاء من كتابه "اسرار البلاغة" يدخل الاستعارة ضمن التخييل لكنه يعود لينته الى كون الاستعارة تقوم على التشبيه لكن التخييل يثبت امرا غير موجود و من ثم فلا وجود للشبه.

و يظهر تأثر الجرجاني بما ذهب إليه الفلاسفة في حديثهم عن الصدق و الكذب اذ جعل التخييل امرا لا يمكن الحكم عليه بالصدق او الكذب و التخييل عنده ينتج حالة نفسية لدى المتلقي ربط التخييل بالجانب النفسي للمتلقي سماها " التحريك" و هو ما يقابل الانعال عند ابن سينا فتحريك إنفعالات المتلقي يقوده الى اتخاذ وقفة سلوكية تعكس مدى تفاعله مع النص التخييلي .

" الاحتفال بالصنعة في التصويرات التي تروق السامعين و تروعهم و التخيلات التي تهز الممدوحين و تحركهم و تفعل فعلا شبيها بما يقع في نفس الناظر الى التصاوير التي يشكلها الحذاق بالتخطيط و النقش و النحت و النقر"[2]. و بذلك بكون التخييل نوعا من القياس المخادع الذي يعبر عن أحاسيس الشاعر و مشاعره ،ان اعتماد الخيال على المدركات الحسية المستمدة من الواقع في تشكيل الصورة الشعرية من شأنه ان يقربها الى العقول كما يترك تأثيرا ايجابيا في نفس المتلقي و يؤكد على سر جمال التمثيل بقوله" و هل تشك في انه يعمل عمل السعر في تأليف المتباين حتى يختصر لك ما بين المشرق و المغرب و يجمع ما بين المشئوم و المعرق و هو يريك للمعاني الممثلة

[1] **عبد القاهر الجرجاني** ،*اسرار البلاغة*،ص:206.

[2] المرجع نفسه،ص:253-254.

بالأوهام شبها في الأشخاص المائلة ،يريك الحياة في الجماد و يريك التئام بين الأضداد فيأتيك بالحياة و الموت مجتمعين".[1] و بهذا يكون للخيال فعالية كبيرة في تكوين الصورة الشعرية و هو لا يخلو في الصدق ،كما في التخييل بعض المبالغة فاجتماع الخيال و التخييل من شانه ان يزيد العمل الشعري رونقا " و بذلك يكون عبد القاهر الناقد العربي الفذ الذي عرف الخيال و أدرك أهميته بشكل لم يسبقه احد فيما نعلم ."[2]

و بذلك يشير كلام عبد القاهر الجرجاني بنظرة تعتبر الخيال الشعري ضربا من الفطنة و الذكاء و خداعا نفسيا يستعمل فيه الشاعر حيلا مصنوعة لخداع المتلقي و هو بذلك لا يخالف ما ذهب اليه من سبقه في فهمهم للخيال الشعري رغم إقراره بأهميته في العملية الإبداعية،كما اعتبر التخييل تحايلا على المتلقي عن طريق أشكال لغوية مختلفة.

ج/مفهوم الخيال عند حازم القرطاجني (554هـ،608هـ- 1159م،1211م).

يعرف حازم القرطاجني الشعر على انه "كلام موزون مقفى من شأنه ان يحبب الى النفس ما قصد تحبيبه اليها،و يكره ما قصد تكريهه،لتحمل بذلك على طلبه او الهرب منه مما يتضمن حس تخييل له و محاكاة مستقلة بنفسها او متصورة بحسن هيأة تأليف الكلام ،او قوة صدقه او قوة شهرته او بمجموع ذلك و كل ذلك يتأكد بما يقترن به من إغراب فان الاستغراب و التعجب حركة للنفس اذا اقترنت بحركتها من الخيالية قوى انفعالها و تأثيرها"[3]

و منه فان حازم قد اتفق مع نقاد آخرين على ان الشعر كلام موزون الا انه أضاف عنصر التمثيل و المحاكاة و هذا ما يعني تأثره بمنهج ارسطو و ما جاء في الشروح و الملخصات التي اجراها العرب على إعماله كما نجده قد

---

[1] عبد القاهر الجرجاني ،***اسرار البلاغة*** ،ص:186.

[2] احمد علي دهمان :***الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني منهجا و تطبيقا***،ط1،دار طلاس،دمشق،1986م،ج2،ص:620.

[3] حازم القرطاجني،منهاج***البلغاء و سراج الادباء محمد الحبيب بن خوجة*** ،دار الكتب الشرقية ،تونس ،1966م،ص:71.

اضاف خاصية الاستغراب و التعجب في الشعر اي العنصر الإبداعي و بالتالي يستعد الشاعر عن التصوير و التمثيل الساذج و يتجه نحو الابتكار في المعاني " فالخاصية النوعية للشاعر الممتزة تتمثل في قراءته الابتكارية الخاصة و في اتيانه بالمعنى الجديد الدقيق من لطيف التشبيه و بديع الوصف...".[1]و حازم القرطاجني عندما يتكلم عن علاقة الشاعر بعالمه فإننا نجده اميل الى استخدام مصطلح المحاكاة وحده،و اذا تحدث عن طاقات الشاعر الابداعية و قواه الابتكارية فانه يستخدم في هذه الحالة مصطلح التخييل على اساس ان العمل الغني ينتج عن القوة الابداعية."[2]

اما في حديثه عن المتلقي فانه استخدم التخيل لأنه يرى ان الشاعر يخيل بعمله الشعري للمتلقي ما يتخيله هو في علاقته بالعالم و ذلك ليدفع الشاعر بالمتلقي اليه ان يرى العالم كما راه هو.

فمن خلال التقسيم يرى حازم ان للفن اطراف اربعة أولها العالم المدرك (الخارجي للأشياء و الكائنات و النفسي او الداخلي لذات الفنان) و ثانيها الفنان الذي يتأثر بهذا العالم و ينفعل به و ثالثها العمل الفني (شعر او غير شعر) الذي يتولد نتيجة علاقة الفنان بعمله و رابعها المتلقي الذي يتوجه اليه العمل الفني و يؤثر فيه".[3]

فبهذا التفصيل يزيح الخلط بين المصطلحات بعد ان كانت تبدو مترادفة و ذات مهنة واحدة .

و بما ان التخيل عملية ذهنية راقية فإنها تساعد المبدع على الابتكار و التجديد في الفن مما يؤثر على المتلقي و للمتلقي حسب حازم طرف في استيعاب العمل الفني حيث يبين ذلك فقال " و طرق وقوع التخييل تكون بان يتصور في الذهن شيء من طريق الفكر و خطرات البال او بان تشاهد شيئا فتذكر به شيئا او بان يحاكي لها الشيء بتصوير نحتي او خطي او ما يجري مجرى ذلك او يحاكي لها صوته او فعله او هيئته بما يشبه ذلك من

---

[1] عبد القادر هيلي،***نظرية الابداع في النقد العربي القديم*** ،ص:11.

[2] حمادي صمودي ،***الشعر وصفة الشعر في التراث*** ،مجلة فصول،مج6،العدد08،الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ،1985م،ص:85-84.

[3] رمضان الصباغ،***في نقد الشعر العربي***،ص:271.

صوت او فعل او هيئة او بان يحاكي لها معنى بقول يخيله لها او بان يوضع لها علامة من الخط تدل على القول المخيل او بان نفهم ذلك بالإشارة"[1] و منه نلاحظ ان وقوع التخييل في ذهن المتلقي يكون بواسطة المشاهدة او عن طريق الصوت و القول او عن طريق الخط و الحركة و الاشارة فكل هذه الوسائل تثيره مما ينتج عنخه ردة فعل لأنه هو " ان تتمثل للسامع من لفظ الشاعر المخيل او معاينة او اسلوبه و نظامه و تقوم في خياله صورة ينفعل لتخيلها و تصورها او تصور شيئا اخر به انفعالا من غير روية الى جهة من الانبساط او الانقباض."[2]

[1] حازم القرطاجني:***منهاج البلغاء و سراج الادباء*** ،ص:89-90.

[2] ***المرجع نفسه***،ص:89.

رابعا :مفهوم الخيال في النقد الحديث

1/ مفهوم الخيال في النقد الغربي الحديث:

توطئة:

الخيال هو أساس الإبداع في المدرسة الرومانسية و ذلك لما تتميز به هذه الملكة من ابتكار و خروج عن المألوف و حسب التوفيق بين العناصر المشتتة و هذا ماكده الناقد الانجليزي (بورا) في توضيح هذه الملكة فقال " انه يتصل اتصالا وثيقا بالبصيرة او الشعور او الحدس او الحق".[1]

و من خلال قول بورا يمكننا القول ان الخيال يتصل اتصالا وثيقا بالقوى النفسية و العقلية للمبدع فالشاعر يعبر عن حالته و أحاسيسه بصورة جمالية موحية و مبدعة فعندما يرتبط الخيال مع هذه القوى ينشط و يرى اشياء يعمى العقل العادي عن رؤيتها و قد درس هذه الملكة العديد من النقاد الغرب امثال :كانت،وردزورث،كولوردج...،و غيرهم متأثرين في دراستهم بعدة مذاهب فقد كانت هذه المذاهب منطلقا لتأسيس نظرياتهم في الخيال و ستتم هذه الدراسة عند النقاد الذين سبق ذكرهم كل حسب ما جاء به في خضم هذا الموضوع.

[1] سير موريس بورا،**الخيال الرومنسي**،الهيئة المصرية للعامة للكتاب ،القاهرة،1977م،ص:12.

ا/مفهوم الخيال عند كانت (1724م-1804م)

تغير مفهوم الخيال عند كانت " فلم يعد شكلا من اللعب لكنه اصبح عنصرا فعالا في العملية الابداعية فهو الذي ينقل ما في الذهن الى الواقع و يجعله ممكنا ان الادراكات المختلفة توجد في العقل على نحو منفصل و يبدو ربطها على نحو وجودها في الحس مطلبا ضروريا و من ثم ينبغي ان توجد فينا قدرة فعالة تركب الكثرة التي يبديها المظهر و ليست هذه القدرة سوى الخيال".[1]

ويعتبر كانت الخيال امرا ضروريا لأنه قدرة إنسانية لا يمكن تجاهل دورها فهي التي تقوم بوظيفة تركيب ما بالذهن من صور منفصلة و تقديمها في صورة متكاملة الأجزاء ليكم من الممكن تحصلها في غياب الخيال يقول كانت:"الخيال اجل قوى الإنسان و انه قوة أخرى من قوى الإنسان عن الخيال و قلما وعي الناس قدر الخيال و خطره "[2]و فد كان تأثير كانت كبيرا في كثير من الفلاسفة و النقاد حيث ظهر اهتمامهم بهذه الملكة و بدورها الفعال.

ب/مفهوم الخيال عند تيلر كولردج(1772م-1834م)

يعرف كولردج الخيال قائلا:" انه القوة الساحرة التي توافق بين صفات متنافر و تظهر أشياء قديمة و مألوفة بمظهر الجدة والنظارة اي انه اجتماع حالة غير عادية من الانفعال بحالة غير عادية من النظام."[3]

و يعرف أيضا "انه عبارة عن ملكة يستطيع بها الأدباء ان يؤلفوا صورهم".[4]

اختلف كولردج مع غيره من النقاد الرومانتقيين في نظرته الى الخيال و ذلك لان نظرته اشمل و اعم من نظرتهم.

---

[1] عاطف جودة نصر،***الخيال مفهومه ووظائفه***،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،مصر ،1984م،ص:149.

[2] محمد غنيمي هلال،***النقدالأدبي الحديث***،ص:411

[3] روز غريب، ***تمهيد في النقد الأدبي***،دار المكشوف،بيروت،1971م،ط1،ص:86.

[4] شوقي ضيف ،***في النقد الأدبي***،دار المعارف القاهرة،ط2،ص:167.

حاول كولردج ان يقدم تصورا نظريا للخيال الإبداعي ضمن النزعة الرومانسية اين يظهر تأثره الكبير بنظريات الخيال التى عاصرها و قد تمكن بفضل ملكته النقدية ان يقدم تصور للخيال الشعري مفاده:" ان الخيال هو القوة التي بواسطتها تستطيع صور معينة او إحساس واحد ان يهيمن على عدة صور او أحاسيسي فيحقق الوحدة فيما بينها بطريقة اشبه بالصهر...و هذه القوة التي هي أسمى الملكات الإنسانية تتخذ أشكالا مختلفة منها العاطفي العنيف و منها الهادئ الساكن ففي صور نشاطها الهادئة التي تبعث على المتعة فحسب نجدها تخلق وحدة الأشياء الكثيرة بينما تفتقد هذه الوحدة في وصف الرجل العادي الذي لايتوافر لديه ملكة الخيال لهذه الأشياء اذ نجده يصفها وصفا بطيئا الشيء تلوا الشيء بأسلوب يخلو من العاطفة."[1]

و قد قسم كولردج الخيال الى قسمين حيث قال " انني اعتبر الخيال اذن اما أوليا او ثانويا فالخيال الأولي هو في رأي القوة الحيوبة او الأولية التي تجعل الإدراكالإنساني ممكنا و هو تكرار في العقل المتناهي لعملية الخلق الخالدة في الأنا المطلق أما الخيال الثانوي فهو في عرفي مدى للخيال الأولي غير انه يوجد مع الإرادة الواعية و هو يشبه الخيال الآلي في نوع الوظيفة التي يؤديها و لكنه يختلف عنه في الدرجة و في طريقة نشاطه انه يذيب و يلاشي و يحطم لكي يخلق من جديد و حينما لا تتسنى له هذه العملية فانه على أي حال يسعى الى إيجاد الوحدة و الى تحويل الواقع الى مثالي انه في جوهره حيوي بينما الموضوعات التي يعمل بها في جوهرها ثابتة لا حياة فيها".[2]

من خلال هذا التعريف يمكن القول انه قسم الخيال الى محورين أساسيين هما الخيال الأولي و الخيال الثانوي موضحا كل طرف و خصوصيته فاعتبر الأولي على انه قوة حيوية و عامل أساسي في كل إدراك إنساني و بالتالي

[1] مصطفى بدوي، ***كولردج***،دار المعارف،1998م،ط1،ص:158.

[2] ***المرجع نفسه*** :ص:87.

يشترك فيه جميع الناس في عمليات المعرفة فقد كان كولردج يؤمن بقدرة الإنسان على معرفة جوهر الأشياء حيث قال " في إمكان الإنسان ان يصل عن طريق تجربته المباشرة الى معرفة الحقيقة المطلقة التي توجد وراء المظاهر."[1]

و الشاعر لا يكتفي بالخيال الاولي بل يتجاوزه الى الخيال الشعري الذي يساعده في عملية الابداع " فالخيال الأولي يسعى الى الوقوف على ماهية الأشياء و إدراكها و يحتاج الى سير أغوار الشيء و النفاذ الى أعماقه... و لكن الخيال الثانوي ليس إدراكا يقوم على الصفات و الجزيئات التي يتركب من مجموعها الشيء المدرك و انما هو إدراك يقتصر فيه الشاعر على الصفات التي تهمه فقط في الشيء المدرك"[2]

و خلاصة الامر مفهوم الخيال كما عرفه كولردج و اتفق اكثر المحدثين " على انه عملية توليد الصورة التي وظيفتها تصوير الحقائق النفسية و الأدب."[3]

ج/مفهوم الخيال عند وليم وردزورت"1770م-1820م"

يعد الناقد الانجليزي وردزورت من رواد الحركة التحررية التي قامو بها ضد الكلاسيكية حيث كان الخيال أساس نظريته في الشعر لأنه في نظره انبل ملكة عند الإنسان و في ذلك قوله "في الشعر ما تأثر به هو الخيال فحسب اي ما اكتسب بعد معرفة وفيرة او اتجه الى متناهى".[4] و من هذا القول نستنتج ان الخيال له دور كبير في العملية الإبداعية عند هذا الناقد سواءا كان عند المبدع او المتلقي و يرى وردزورت ان الخيال هو " القدرة على اختراع ما ليس اللوحات المسرحية لباسا فيه تكتسي أشخاص المسرحية نسيجا جديدا و يسلكون مسالكهم الطريفة او هو

[1] محمد زكي العشماوي،***دراسات في النقد الادبي المعاصر*** ،دار الشروق ،1994م،ط1،ص:59.

[2] **المرجع نفسه**،ص:262،263.

[3] **المرجع نفسه** ،ص:271.

[4] علي محمد هادي الربيعي، ***الخيال في الفلسفة و الدب و المسرح***،دار صفاء للطباعة و النشر ،2012،ط1،ص:131.

تلك القدرة الكيمياوية التي تمتزج مع العناصر المتباعدة في أصلها و المختلفة كل الاختلاف كي تصير مجموعا متآلفا منسجما".[1]

و الخيال عنده عبارة عن ملكة منتجة لها القدرة على الإبداع و الخلق و الجمع و التركيب انطلاقا من ما يختزنه الذهن من صور منفصلة و من هذا المنطلق ميز وردزورت بين الوهم و الخيال جاعلا من الخيال قوة ايجابية أسمى من الوهم حيث قال " الوهم سلبي يعتبر بمظاهر الصور يسخرها لمشاهد فردية عرضية ،اما الخيال فهو العدسة الذهنية التى من خلالها يرى الشاعر موضوعات ما يلحظه أصلية في شكلها و لونها".[2]

من خلال ما سبق يمكن القول ان أهم ما أدته الرومانتكية في نظرية الخيال هو ذلك الذي وصل إليه كولردج في تحديده لطبيعة الخيال تحديدا لم يزد عليه حتى اليوم شيء جوهري فقد درس هذا الناقد الخيال من شتى جوانبه محاولا إثبات أهميته في الفن عامة و الشعر خاصة.

2-مفهوم الخيال في النقد العربي الحديث:

كان للمذهب الرومانسي الغربي امتدادا واسعا و تأثيرا كبير على الادب العربي وقد تجلى هذا التأثير في ظهور مدرسة عربية رومانسية و التي تنضوي تحت عدة إتجاهات إستفادات من طروحات المدرسة الرومانسية ومن بين هذه الإتجاهات إتجاه جماعة الديوان وسنحاول أن نبحث مفهوم الخيال عند هذا الإتجاه.

[1] محمد غنيمي هلال،***النقد الادبي الحديث***،ص:389.

[2] **المرجع نفسه**،ص:413.

أ- الخيال عند جماعة الديوان:

هي حركة تجديدية في الشعر العربي ظهرت في النصف الأول من القرن العشرين على يد عباس محمود العقاد وإبراهيم المازني وعبد الرحمن شكري .سميت بهذا الاسم نسبة إلى كتاب ألفه العقاد والمازني وضعا فيه مبادئ مدرستهم واسمه" الديوان في الأدب والنقد."حُددت أهداف المدرسة كما يقول العقاد في الديوان:وأوجز ما نصف به عملنا إن أفلحنا فيه أنه إقامة حد بين عهدين لم يبق مال يسوغ اتصالهما والاختلاط بينهما، وأقرب ما نميز به مذهبنا أنه مذهب إنساني مصري عربيمما تدعو إليه المدرسة التمرد على الأساليب القديمة المتبعة في الشعر العربي سواء في الشكل أو المضمون أو البناء أو اللغة.

نهجت هذه المدرسة النهج الرومانسي في شعرها ومن أبرز سمات هذه المدرسة:

الدعوة إلى التجديد الشعري في الموضوعات والاستفادة من الأدب الغربي والاطلاع على الشعر العربي القديم والاستعانة بمدرسة التحليل النفسي والاتجاه إلى الشعر الوجداني

أ/مفهوم الخيال عند عبد الرحمان شكري "1886م-1958م"

حظي الخيال باهتمام نقاد المدرسة الرومنسية العربية فلا نجد ناقدا الا و تحدث عن هذه الملكة و هذا ما نجده عند عبد الرحمان شكري الذي يعد من ابرز رواد جماعة الديوان فقد تحدث عن اهمية الخيال في الشعر و اعتبره إحدى ركائز الشعر حيث يقول "وليس الشاعر الكبير من بعني بصغيرات الأمور و لكنه الذي يخلق فوق اليوم الذي يعيش فيه ثم ينظر في أعماق الزمن أخذ الأطراف ما مضى ،و ما يستقبل فيجيء شعره أبديا مثل نظرته و هو الذي إذا قذف بإشعاره في حلق الأبد مصاغها".[1]

[1] عبد الرحمان شكري،***ديوان زهرة الربيع***،مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ،مصر،2012،ص:206.

فمن خلال قوله نفهم أن الشعر و الخيال مرتبطان "و لكن يكون الشاعر مبدع وجب عليه ان ينظر الى الامور نظرة ميتافيزيقية و ان يتنبأ بالمستقبل و يعبر عن احاسيسيه الداخلية لان الشعر عنده صورة صادقة لنفس صاحبه."[1]

كما ربط شكري الخيال بالفكر و جعلها أساس الشعر حيث قال :"الشعر هو ما اتفق على نسجه الخيال و الفكر إيضاحا لكلمات النفس و تفسيرا لها ".[2]

يتحدث شكري عن الخيال فيطلقه اولا من ضيق الصور البلاغية ثم بين موضوعاته و الهدف منه حيث يقول: "الخيال ليس مقصورا على الشبيهات و الشاعر الكبير ليس هو ذا التشبيهات الكثيرة الذي يكثر من مثل و كأن و لوكان ليس بعدها الا المعنى المتضائل و الصورة المضطربة غير المتجانسة الأجزاء فان الخيال هو كل ما يتخيله الشاعر من وصف جوانب الحياة و شرح عواطف النفس و حالاتها و الفكر و تقلباته و الموضوعات الشعرية و تباينها و البواعث الشعرية و هذا يحتاج فيه إلى خيال واسع و التشبيه لا يراد لذاته كما يفعل الشاعر الصغير و إنما يراد لشرح عاطفة أو توضيح حالة او بيان حقيقة و أن اجل الشاعر هو ما خلا من التشبيهات البعيدة و المغالطات المنطقية".[3]

من هذا التعريف نستنتج أن شكري تصور للخيال انه يتجاوز الإطار البلاغي و انه هو ما يتخيله الشاعر و في هذا اهتمام بالمبدع و العملية الإبداعية بل التركيز على سيكولوجيا المتلقي .

ثم نجده يستعمل مصطلح التخيل بدلا من الخيال و يحدد مفهومه بقوله:"فينبغي ان نميز في معاني الشعر و صوره بين نوعين يسمى احدهما التخيل و الأخر التوهم فالتخيل هوان يظهر الشاعر الصلات التي بين الأشياء و

[1] محمد مصايف، ***جماعة الديوان في النقد*** ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر،1982،ص:250.

[2] عبد الرحمن شكري،***ديوان زهرة الربيع***،ص:206.

[3] **المرجع نفسه**،ص:402.

الحقائق و يشترط في هذا النوع ان يعبر عن الحق و التوهم ان يتوهم الشاعر بين شيئين صله ليس لها وجود،و هذا النوع الثاني يقوى به الشعراء الصغار و لم يسلم منه الشعراء الكبار".[1]و في هذا النص نجد استعمال مصطلح التخيل ربما هو "المقابل الدقيق لكلمة imagination التي تدل على عملية التأليف بين الصور و إعادة تشكيلها."[2]

ب/مفهوم الخيال عند العقاد:

بالرغم من حديثه المبكر عن الخيال في كتاباته الأولى(مقدمة شكري مثلا) الا ان العقاد لم يقدم تعريف الا بعد أكثر من عشرين سنة في إحدى مقالاته حيث يقول :"و اصدق ما يقال في تعريفها أنها ملكة تساعدنا على استحضار الصور و الأحاسيس و الإحاطة بالواقع من جميع نواحيه و توسعة الأفاق الحياة من نستطيع أن نعيش في اكثر من مكان و أكثر من لحظة واحدة بما نستحضره من الأماكن البعيدة و القريبة و ما نستحيه من الصور الحاضرة و الماضية ".[3]

حيث نفهم من تعريف العقاد ان الخيال :ملكة و هذا يؤكد طبيعته و انه يمكن للإنسان ان يتخطى حدود الزمان و المكان حيث هذا التعريف لا يخرج عن التفسير السيكولوجي للخيال كما رأيناه عند بعض الفلاسفة كما انه بهذا المعنى موجود عند كل إنسان فهو بمثابة الخيال الأولي الذي تحدث عنه كولردج اي هو نوع من النشاط السيكولوجي يتعلق بالذاكرة و الادراك.

---

[1] *عبد الرحمن شكري*،***ديوان زهرة الربيع***:ص:403.

[2] جابر عصفور :***الصورة النفسية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب***،ص:15.

[3] عباس محمود العقاد،***الفهم***،مجلةالثقافة،السنةالاولى،القاهرة ،1939،ص:5،نقلا عن شكري محمد عباد المذاهب الادبية و النقدية عند العرب و الغربيين ،الكويت،دط،1993م.

ج/مفهوم الخيال عند المازني:

يرى المازني ان الناس اساءوا استخدام لفظ الخيال لذا كان دوره تعويضها بلفظ اخر و قد بين خطأ الناس في فهم الخيال قائلا:"و ماذا يفهم الناس من لفظ الخيال ؟ تسمع الكثيريين قولهم هذا خيال شاعر و نعرف بالتجربة الطويلة انهم يفهمون من الخيال مجافاة الحقائق و تنكب التجارب و اقتباس شوارد الاوهام و المحلات و كأنهم يحسبون ان المرء على قدر بعده عن مألوف الناس و تجاربهم يكون نصيبه من الخيال و قدرته عليه و ان هذا التناسي للحياة و سننها و لخصائصها و لأحوالها يكلف ما لا يكلف تحديها و القناعة بميسورها و هذا كله خطأ و جهل فوق جهل."[1]

ثم يوضح المازني عمل الخيال بعيدا عن المبالغة و الاوهام بقوله:" اذن فما هذه الشياطين و عرائس البحر و ما اليها مما ابتدعه خيال الغربيين ووصفوه في شعرهم؟من اين جاءت هاته المجالات؟و كيف عرفوها ووصفوها و لا خبر لاحد من ابناء الدنيا بها ولا عهد؟و لمن يقوم بنفسه هذا الاعتراض بعض العذر فلعله لا يدري ان هذه الشخصيات ليست مخلوقة خلقا انما هي على بعدها و غرابتها مما استحدثه الخيال النشيط في مألوف بنات الدنيا و لصوصها فهي اسماء مستعارة لشخصيات مكونة من متفرق ما يلحظ في ناس هذه الدنيا:وهو الخيال و لكنه محلق بجناحين من الحقيقة و ليست قدرة الشاعر هنا في انه اوجد شيئا من العدم فذاك محال،و لكن قدرته في انه استطاع ان يكون صورة من أشتات صور و ان يحضر الصورة المؤلفة الى ذهنه إحضار واضحا و ان يمثلها لنا كما ينبغي ان تكون ".[2]

حيث تفهم من كلام المازني عن الخيال:

- ان الخيال لايجافي الحقيقة

[1] ابراهيم عبد القادر المازني،***حصادالهشيم***،دار المعرف،مصر،1999م،ص:237.

[2] ***المرجع نفسه***،ص:240

- و الخيال لا يأتي بالصور من العدم
- و الخيال يؤلف الصورة من اشتات الصور .

يحسن الخيال احضار صورة كما يحسن تمثيلها للمتلقي اذن المازني يتجاوز التأطير التقليدي لمفهوم الخيال من كونه خداع و ايهام الى كونه اعادة لتشكيل الحقيقة و حسن تمثيلها.

خلاصة:

من خلال هذا العرض الموجز لأهم مفاهيم الخيال، نجد ان الآراء قد تفاوتت في تحديد ماهيته ، كل يعرفه حسب مذهبه فاعتبره افلاطون نوعا من الجنون العلوي، ووظيفة للنفس غير السامية فحط من قيمة و إعتباره وسيلة للتضليل لإعتمادها على ما تقدمه الحواس هذه الاخيرة لاتقدمعارف حقيقية بل يقدمها العقل الوسيلة الوحيدة القادرة على ذلك لكن خالف التلميذ – ارسطو– أستاذه محاولا اعطاء شيء من الاعتبار للخيال فنظر اليه على انه حركة ذهنية ناشئة عن الحس وجعله وسيطا بين الاحساس و العقل لكن البحث لا يعثر عند الفلاسفة والنقاد اليونان على استخدام مصطلح التخيل، واول من استخدم هو الفارابي

بيد ان ارسطو قد تحدث عن الاثر الانفعالي الذي تتركه المأساة في المتلقين وما يترتب عنه من تطهير نفسي وقد انتقل تأثير هذه النظريات اليونانية لينعكس على الثقافة العربية الاسلامية فقد ذهب الفلاسفة المسلمين الى اعتبار الشعر قياسا منطقيا ، وجعلوا ما يبدعه الخيال من صور ضمن تصورات منطقية .

فقد جعلوا الخيال وسيلة مصطنعة من طرف الشاعر لخداع المتلقي و تضليله و اقناعه بأشياء غير حقيقية معتبرين التخييل جوهر العلمية الابداعية و المميز للشعر عن غيره من ضروب القول مركزين على سيكولوجية التلقي على حساب سيكولوجية المبدع اي على ما تثيره النصوص الشعرية من انفعالات تؤدي الى التطهير فمدار الشعر لا إعتبارفيه للصدق و الكذب ولكن مابه من اقاويل تخيلية

وسبب وقوعهم في هذا الخطأ هو دراستهم للشعر وفق معايير منطقية وعدم ربطهم بين المبحث النظري للخيالاما مجالي البلاغة والنقد فقد كان تأثير آراء الفلاسفة المسلمين فبهما كبيرا فقد استمرت النظرة الى الخيال بوصفه ضربا من الفطنة و الذكاء هدفه اصطناع الحيل لخداع المتلقي والتأثير فيه من خلال اثارة انفعالاته.

وقد استمرت نظرة التشكيك في قيمة هذه الملكة عند بعض المحدثين واتهامهم له بالعجز و القصور، متأثرين بما ذهب إليه بعض الفلاسفة اليونان فكان تفسيرهم له من منطلق فكرة التداعي فربطوا التخييل بالذاكرة لكن البعض الآخر وخاصة المتأثرين بالمذهب الرومانسي فقد أعطوا للخيال ما يليق به من مكانة وركزوا على دوره في العملية الإبداعية على اعتبار انه ملكة تتم عن عبقرية صاحبها من خلال ما يبتكره من صور جديدة مستندة الى معطيات حسية فأصبح للخيال فعل ايجابي يساعد على الخلق والابتكار من خلال الجمع بين المتنافرات في شكل جديد.

الفصل الثاني:

مسائل الخيال في كتاب الخيال الشعري عند العرب للشابـــــــــي

أولا: قراءة في الخيال الشعري عند العرب

1/ رؤية أبي القاسم الشابي النقدية للخيال من منظور الفكر الرومانسي

أ/الخيال بين التراث النقدي والرؤية الحداثية:

جاء حديثا في المبحث السابق عن مفهوم الخيال عموما أما الآن سنتطرق للحديث عن مفهوم الخيال عند الشابي ويضم مفهوم الخيال عند الشابي ،كل من نشأته و أقسامه وما كان يفهم منه عند الإنسان الأول، وقد حصر مفهومه للخيال في نقط ثلاث ، حيث يقول ممهدًا لقضية الخيال"...انني مؤمن اشد الإيمان بصحة هذا الرأي ارتابه، ومعتقد كل الاعتقاد انه حق لاريب فيه، وانني لهذا الإيمان ولهذا الاعتقاد أردت ان اعرضه عليكم بين يدي هذا الحديث، وهذا الرأي ينحصر في نقط ثلاث ان ابناها اشرق الرأي واتضح المراد." [1]

يتبين لنا من خلال هذا القول مدى إصرار الشابي على صدق و صحة الرأي الذي يتبناه، وقد دافع عنه من خلال ثلاثة نقط هي:

- اعتبار الخيال ضروري في حياة الانسان حيث يقول:"...الخيال ضروري للإنسان لابد منه ولا غنية عنه ضروري له كالنور والهواء والماء والسماء، ضروري لروح الإنسان ولقلبه ، ولعقله ولشعوره، مادامت الحياة حياة و الإنسان انساناً."[2]
- الشابي الخيال ضرورة من ضروريات الحياة لدى الإنسان اشارة منه إلى قيمة و اهمية وجود الخيال في حياة الإنسان، إلا أن الشابي لم يكتفِ عند هذا القدر و ارجع منشأ الخيال و مصدره إلى الطبع و الغريزة وذلك من خلال اقواله:"... الخيال نشأ في النفس الانسانية بحكم هذا العالم الذي عاش فيه الإنسان

[1] ابو قاسم الشابي، **الخيال الشعري عند العرب** اعداد وتقديم أبو القاسم محمد كرو مدار صادر بيروت ط1، 1999م ص 21
[2] **المرجع نفسه**، ص: 22

و بدافع الطبع و الغريزة الإنسانية الكامنة وراء الميول و الرغبات وما كان منشؤه ومصدره الطبع فهو حي خالد".[1]

يظهر من خلال هذا القول ان الشابي يعتبر الخيال ملكة فطرية من الملكات التي وهبها الله للإنسان.

- اعتبار الخيال حقيقة وليس مجاز وذلك من خلال قوله:"...ان الإنسان حينما كان يستعمل الخيال في جمله و تراكيبه لم يكن يفهم منه هاته المعاني الثانوية التي نفهمها منه نحن ونسميها (المجاز) ولكنه كان يستعمله وهو على ثقة تامة لا يخالجها الريب في انه قد قال كلاما حقيقياً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه." [2]ويستدل على ذلك بما في الأساطير الأقدمين من طقوس وآلهة ،حيث اعتبر الشابي أن هذا الجهد الخيالي لم يكن يبذله الانسان الاول لإرواء غرائزه وانما لإعتباره حقا أُزليا والا فهل كان يطمئن اليه ويقيم له فروض العبادة وهو يعلم انه من زخرف الخيال الشارد ووحي الأوهام المعربدة ؟

ان الشابي من خلال هذا التساؤل الذي يطرحه يريد ان يقف بنا عند جوهر قضية الخيال و المتمثل في اعتباره الخيال حقيقة وليس مجاز ذلك ان لآراء السابقة كانت تعتبر الخيال نقيضا للحقيقة ومنافيا لها. و سنبين ذلك من خلال التعريفات التي وردت حول الخيال قديما بدأ بأرسطو الذي اعتبر الخيال "غريزة عمياء وقسمة مشتركة بين الإنسان و الحيوان".[3]

---

[1] *ابو قاسم الشابي*،***الخيال الشعري عند العرب***، ص32.

[2] ***المصدر نفسه***، ص 23

3 محمد غنيمي هلال ،**الأدب المقارن دار الثقافة** ،بيروت ، لبنان ، ف 6،(ب ط ب ت) ص 377.

ب/قراءة الشابي لآراء أرسطو وأفلاطون في الخيال:

لقد احط أرسطو حسب موقف الشابي من قيمة الخيال ونظر اليه نظرة دونية وذلك باعتبار كل من الانسان والحيوان متساويين في هذه الغريزة لا تؤدي اي دور او فائدة بالنسبة لأرسطو.

اما افلاطون فيري ان التخييل هو ما " يرسم في نفس أشباه الاشياء المدركة بالحس ويأخذ من الحس موضوعاته التي تصبح مادة التفكير وهكذا يؤدي التخيل وضيفتين استعادة صور المحسوسات، واستخدم الصور المحسوسة في التفكير."[1]

ونجد ان افلاطون قظ نظر للخيال على انه مقاربة لصورة المحسوسة، وبتالي فإن وظيفته تقتصر على نقل صور المحسوسات او استعادتها من الذهن من غير تركيب او تأليف فيما بينها وليس بعيدا عن هذا الفهم نجد في الثقافة العربية آراء متشابهة لآراء أرسطو و أفلاطون عند الأقدمين ابتداء من الكندي الذي يضع التخيل في مقابلة التوهم حيث يقول :" التوهم هو القنطاسيا ، قوة نفسية ومدركة للصور الحسية مع عيبة طينتها ، ويقال: القنطاسيا هو التخيل هو حضور صور الأشياء المحسوسة مع غيبة طينتها."[2]

2/ موقف الشابي من الآراء النقدية للفلاسفة المسلمين:

لقد اعتبر الكندي ان الخيال قوة نفسانية تقوم بحفظ الصور الحسية بعد غيابها عن الحس، وكذلك نجد ايض الفارابي قد ذهب نفس المذهب في اعتبار وضيفة المتخيلة حفظ صور المحسوسات ومن ثم رأى الفارابي ان وضيفة الخيال تتمثل في حفظ وتخزين الصور من دون أي تغير أو إضافة فيها ولم يختلف موقف ابن سينا عن سابقيه حيث يقول:" الشيء قد يكون محسوسا عندما يشاهد ثم يكون متخيلا عند غيبته بتمثل صورته في الباطن."[3]

---

[1] عاطف جوده نصر ، ***الخيال مفهوماته ووظائفه*** ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ،(ب ط ب ت) ،ص .11.

[2] يوسف الادريسي ، ***التخيل والشعر منشورات ضفاف*** ، بيروت لبنان،ف2 ،ط1، 2012م ، ص82.

[3] عاطف جوده نصر، **الخيال مفهوماته ووظائفه**،ص13 .

ويرى ابن سينا أن الشيء لا يكون متخيلا إلا إذا غاب عن الحس واختزنت صورته في الذهن .

3/ موقفه من البلاغيين في مصطلح الخيال:

وعبد القاهر الجرجاني يرى التخيل هو "ما يثبت فيه الشاعر امراً هو غير ثابت اصلا، ويدعى دعوى لا طريق لتحصيلها ،ويقول يخدع فيه نفسه، ويريها مالا ترى."[1]

لقد نظر القاهر الجرجاني للخيال "على انه نقيض للحقيقة، الأن الشاعر قد يتصرف في الحقائق بالزيادة او نقصان دون ان يردها كما هي . و "من ثم فإن تصوير الحقيقة حسب رؤية الشاعر لها، ومن خلال مخيلته و أحاسيسه يعد تزيفا وتشويه للحقائق في نظر الجرجاني لا إبداعا او ابتكارا للصور".[2]

ويعرف حازم القرطاجني التخيل:"أن تتمثل للسامع مع لفظ الشاعر المخيل أو معانيه او أسلوبه و نظامه، وتقوم في خياله صورة او صور ينفعل لتخيُلها وتصورها او تصور شيء آخر بها انفعالا من غير رؤية الى جهة من الانبساط او الانقباض."[3]

يرى حازم القرطاجني أن وضيفة الخيال تقوم على التأثر في نفس السامع و دفعه للإستجابة لها التأثر سواء بالاستنباط او الانقباض من خلال ما سبق نجد ان القدماء قد تناولوا مصطلح الخيال وهي:

- وضيفة الخيال و المتمثل في تصوير الاشياء وتخزينها في الذهن.
- ماهية الخيال حقيقة ام وهم .

---

[1] عبد القاهر الجرجاني ، ***اسرار البلاغة تحقيق محمد الفاضلي*** ، المكتبة المصرية ،صيدا ،بيروت ط3، 2001م ص 204، 205.

[2] عثمان موافى ، ***في نظرية الادب من قضايا الشعر و النثر في النقد العربي القديم*** ، دار المعرفة الجامعية، مطبعة ياسو ، اسكندرية ،ج1،(ب ط ب ت) ،ص149.

[3] حازم القرطاجني ، ***منهاج البلغاء وسراج الادباء تقديم و تحقيق الحبيب ابن الخوجة*** ، الدار العربية للكتاب ، تونس،ط3 ،2008م ص 79.

- آلية التخيل لدى الإنسان .
- تأثير الخيال على النفس .

وهكذا نجد ان القدماء لم يشتغلوا على المصطلح ، بقدر انشغالهم على تفسير الظاهرة و تعريف بها

ولهذا يصعب تحديد مصطلح الخيال عند القدماء ، وذلك راجع للخلط و التدخل الحاصل بين المصطلحات .ولقد لاحظ جابر عصفور ان الدلالات العربية القديمة لكلمة (الخيال) "فإنها لا تشير إلى القدرة و الهيئة و الظل ؛كم تشير الى الطيف او الصورة التي تمثل لنا في النوم او الأحلام اليقظة ، أو في لحظات التأمل عندما نفكر في شيء او شخص ."[1]

ويمكن ان نرجع سبب ذلك بالنظر الى الخصوصية المعرفية و الزمنية لتلك الفترة لقلة الوعي او النضج الكافي بمفهوم الخيال عند الأقدميين حيث نجد انهم كانوا يتحاشون " جموح العواطف و سيطرة الطبيعة وما قد يؤدي اليه من هروب من سلطان العقل و خضوع لنفوذه."[2]

وهذا ما قد يفسر تناول القدماء مصطلح الخيال بشيء من الخوف و الحذر ، خشية الانسياق وراء العواطف و الخوض في غمارها.

ولكن الفهم لم يستقر على هاته الحالة، فمع تطور الزمن و التغير الذي صاحبه ،شكل فهما جديد لمصطلح الهيال برز بصورة خاصة لدى الرومانسيين ، الذين مجدوا العاطفة و تغنوا بها و دعوا الفن لتعبير عنها وعن هذه الرؤية الجديدة . التي عبر عنها أصحاب هذا الاتجاه .

---

[1] جابر عصفور، ***الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب*** ، دار النشر المركزي الثقافي بيروت ، ط3 ، 1992 ص 15 .

[2] محمد زكي العشماوي ،***قضايا النقد الادبي بين القديم و الحديث*** ، دار النهضة العصرية للطباعة و النشر ، بيروت ، (ب،ط،ب،ت) ، ص 51 .

في مقولاتهم المختلفة، ومن ذلك قول وردزورث : " الفنية فيض تلقائي للعواطف القوية على ان يكون الانفعال المثال في حالة طمأنينة وهدوء ومن ثم فإن التجربة الفنية في نظر وردزورث ماهي الا تعبير او تجسيد لمشاعر قوية ذاتية ".[1]

فتتمثل هذه الأراء و غيرها التي ساعدت على بلورت هذا الفهم الجديد للخيال الذي يختلف عن الفهم السابق، كما سعى الرومنسيين الى تأسيسه ونشره ومن خلال التأصيل له واعادة النظر فيه وبعثه من جديد.

وبفضل هذه الجهود إتضحت المفاهيم وتباينت ، حيث اصبح بإمكاننا ان نميز بين الخيال و الوهم " فالوهم حالة من حلات تحرر الذاكرة من نسقى الزمان و المكان ، وهو يركب أطرا من المواد جاهزة بدلاً من ان ينفث الجدة فيها او يدمجها في وحدة." [2]

ان الوهم لا يقدر على التركيب و التأليف بين الاشياء وجعلها وحدة متماسكة على غرار "الخيال الذي تفقد فيه الاجزاء ولكنه يختلف عنها"[3]

فالخيال على هذه الشاكلة يختلف عن الوهم، لأنه يعتمد على الواقع كمادة يعيد صياغتها من جديد بصورة مغايرة عما كانت عليه وهذا شبيه بما يفعله صانع الفخار بعجينة الطين. بينما يقوم الوهم بجمع الصور فقط.

اما عن علاقة الخيال بالصورة فتتمثل في ان الخيال "هو القدرة على تكوين صورة ذهنية لأشياء غابت عن متناول الحس , ولاتنحصر فاعلية هده القدرة في مجرد الاستعادة الالية لمدركات حسية ترتبط بزمان و مكان بعينه , بل تمتد فاعليتها الى ماهو ابعد و ارحب من ذلك , فتعيد تشكيل المدركات , وتبني منها عالما متميزا في جدته و

---

[1] *محمد زكي العشماوي*،**قضايا النقد الادبي بين القديم و الحديث**،ص53.

[2] عاطف جوده نصر، ***الخيال مفهوماته ووظائفه***، ص:65 .

[3] **المرجع نفسه**، ص:65.

تركيبه وتجمع بين الاشياء المتنافرة و العناصر المتباعدة في العلاقات الفريدة ,تذيب التنافر و التباعد , وتخلق الانسجام و الوحدة ".[1]

فالخيال يساعدنا على تكوين صورة ذهنية بعد غيابها عن الحس , الا انه لايقف عند هذا الحد بل يتعدى ذلك الى اعادة تشكيل مدركات حسية بصورة مغايرة لما كانت عليه .

حيث ان النظرة القديمة كانت تنظر للخيال على انه استعادة الية لمدركات حسية , وبالتالي يصبح الخيال يؤدي دور الذاكرة في تخزين الصور في الذهن و استرجاعها عند الضرورة .

وهذه النظرة التي شاعت عند القدماء هي نظرة تعزل الخيال عن الإبداع ,في حين ان الخيال في ظل الرومانسية أصبح لا يقوم على الجمع بين الصورة المتشابهة بل أصبح يخلق صورا جديدة عن طريق الجمع بين الأشياء المتنافرة و المتباعدة بطريقة منسجمة موحدة .اما الصورة " فهي اداة الخيال ووسيلته و مادته الهامة التي تمارس بها , وفاعليته و نشاطه".[2]

فالصورة هنا هي الأداة او الوسيلة التي تعين الخيال على أداء وظيفته و ممارسة نشاطه وهي اهم عنصر من عناصر الخيال و في ظل هذه التحولات أصبح الخيال يمثل "وسيلة لكشف الحقيقة و الوقوف عليها و إدراك إبعادها وليس أوهاما ما مفتعلة و مصطنعة لا تستند إلى أي أساس "[3].

وهكذا اصبح الخيال يمثل نهجا جديدا تتخذه الإنسانية سبيلا للمعرفة , بعد زعزعت السلطة العقل التي ذلت تسيطر على الفكر البشري طيلة القرون الماضية .

---

[1] جابر عصفور , ***الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب*** ,ص13.

[2] المرجع نفسه:ص14.

[3] مصطفى درويش ,**تشكل الذات و اللغة في مفاهيم النقد المنهدي**,دار الامل و النشر و التوزيع ,ص168.

ولقد كانت غاية الرومانسيين انقاض خيال الإنسان "على الحقيقة التي تقع وراء المألوف من الأشياء , حتى يرفعوه من رتابة العادة المميتة الى الوعي الى الوعي بالبعاد التي لاتقاس و الأعماق التي لاتدرك وان يبينوا له ان العقل وحده لايكفي , وإن مايحتاج اليه الحدس الملهم ".[1]

ولكي يتمكن الإنسان من فهم حقيقة الأمور وجب عليه ان يرتقي بحسه وبعقله عما يحيط به من الأشياء.ولنتأتي له ذلك الا عن طريق الخيال الدي ليعرف في هذا الوجود ولهذا نجد ان الديان "عندما تحدثنا عن رؤى الأدبية و السماوات اللامحدودة او الفراديس التي لها شكل المدن و الحدائق التي أقامها الإنسان في حضارته فإننا لن ننظر لهذه الرؤى باعتبارها دينا و إنما باعتبارها خيالا ".[2]

فمن خلال هذه الرؤى ينقذ خبال الإنسان الى الحدود التي يمكم ان يبلغها الخيال في هذا العالم البشري , حيث نجد أن الرغبة في الطيران قد "... خلقت الطائرة الا أن الناس يستقبلون الطائرات و ليس رغبة في الطيران بل لانهم يريدون الوصول إلى مكان ما بصورة أسرع ,فليس ما أنتج الطائر رغبة في الطيران بقدر ماهو تمرد على طغيان المكان و الزمان ".[3]

وهكذا نجد الخيال قد منح للإنسان الفرصة ليتجاوز ماهو موجود الى لا موجود , بغية الجدة و الثروة على كل ماهو اعتيادي و مألوف .

- يقسم الشابي الخيال الى قسمين :" ... قسم اتخذه الإنسان ليتفهم به مظاهر الكون و تعابير الحياة , وقسم لإظهار ما في نفسه من معنى لا يفصح عنه الكلام المألوف ".[4]

---

[1] سيرموريس بورا ,***الخيال الرومانسي*** ,ترجمة ابراهيم الصرفي ,الهيئة المصرية العامة للكتاب ,ص 32,31.

[2] نور ثروب فراي ,***الخيال الادبي*** ,ترجمة حنا عبود ,منشورات وزارة الثقافة , دمشق ,ص18ا.

[3] ***المرجع نفسه*** ,ص:18.

[4] ابو القاسم الشابي ،**الخيال الشعري عند العرب**،ص:23.

فالخيال في نظر الشابي على نوعين ؛ اولي يقوم باستدعاء الصور الى الذهن وهو الذي يمكننا من ادراك ما حولنا من أشياء , وثانوي ينتج صورا جديدة فهو يتجاوز عملية الإدراك الى الإبداع وهذا ما نلمحه لدى العباقرة و الفنانين و الأدباء ومنه "...القسم الثاني تولد قسم أخر ولدته الحضارة في النفوس او ارتقاء الإنسان نوعا ما عما كان عليه وهذا القسم الاخر هو الخيال اللفظي الذي يراد منه تجميل العبارة و تزويقها ليس غير ".[1]

فالخيال الأدبي او الفظي هو الذي اتخذه الإنسان للترفيه و الترويح عن نفسه , أي لأجل المتعة فقط .

ويرى الشابي ان " القسم الأول هو اقدم القسمين ...نشوءا في النفس لان الإنسان اخذ يتعرف ماحوله اولا حتى اذا ماجاشت بقلبه المعاني يعبر عنها بالألفاظ و التراكيب , لما مارس كثيرا من خطوب الحياة و عجم كثيرا من ألواء الدهور ... أحس بدافع يدفعه الى الأناقة في القول و الخلابة في الأسلوب فكان هذا النوع الجديد من الخيال ...الذي عمد إليهاالإنسان مختارا ,فكان منه المجاز و الاستعارة و التشبيه و غيرها من فنون الصناعة و صياغة الكلام ".[2]

ومن خلال قول الشابي يمكن ان نعتبر القسم الاول هو الخيال العادي الذي يشترك فيه جميع الناس , والذي استطاع الإنسان ان يتعرف بواسطته ان يتعرف عما حوله . اما القسم الثاني فهو الخيال الثانوي او الادبي به استطاع الإنسان ان يعبر عما يجيش بقلبه من معاني , لايقدر الكلام العادي ان يفصح عنها , و يندرج ضمن الخيال الادبي الخيال الشعري , الذي يقسمه الشابي بدوره الى قسمين : " ...قسم اتخذه الانسان لا للتنويق و التزويق ولكن لتفهم من ورائه سرائر النفس و خفايا الوجود , وهو هذا الخيال الذي نلمح خلفه ملامح الفلسفة و اسرة الفكر ...وهو هذا الفن الذي يندمج فيه الفلسفة بالشعر و يزدوج فيه الفكر.

---

[1] ابو القاسم الشابي ،**الخيال الشعري عند العرب**،ص:24.

[2] ***المرجع نفسه***،ص:24.

4/ موقف الشابي من الخيال العربي

لقد لخص الشابي من خلال التعريف بالخيال و أقسامه الى البحث عن الخيال الشعري في التراث العربي ، و لكي يتسنى له معرفة قيمة و قوة ذلك الخيال بالنظر الى الأمم الأخرى و ما تملكه من ثروة أدبية و شعرية يمكن ان تضاهي قوة و ثراء النتاج العربي او تعجزه أمامه.

و هذا ما سيأتي ذكره في الأسطر القادمة و التي ستسفر عن موقف الشابي من الخيال العربي لقد انطلق الشابي في تقصي الخيال الشعري في التراث العربي و تتبع أثاره في أقدم فن عرفته البشرية الا و هو فن الأسطورة الذي يعد ميلاد الحضارات و تاريخ الأمم و ارث حضاري و ثقافي لدى اغلب الشعوب حيث يعتبر الشابي هذا الفن "صورة مغربية من صور الخيال و لون قوي من ألوان التفكير الإنساني...هي الكلمة الأولى التي توجسها الإنسان من تعابير الحياة و حاول ان يتفهم منها معاني الوجود المتناقصة انها طفولة الشعر في طفولة الإنسان و ما كان مصدره الطفولة الساذجة فهو أدنى الى الطبع و أدل على النفس من اي شيء اخر"[1].فالأسطورة في نظر الشابي تمثل مرحلة الطفولة في الفكر البشري و أقدم فن عرفه التاريخ حيث تعتبر البدور الأولى للخيال و منشؤه .و هذا ما دفع الشابي للحديث عنها و يرى الشابي ان الأساطير العربية تنقسم الى قسمين :

" ***القسم الأولى:*** الأساطير الدينية و يندرج تحت هذا القسم ما كان من قبيل العوائد لان أكثر العوائد إنما هي عقائد متحجرة بمفعول الزمن ،أما ***القسم الثاني هي:*** الأساطير التاريخية و هي تلك الأخبار التي لها ارتباط بالتاريخ العربي القديم."[2]

فالأساطير العربية في نظر الشابي قد وردت على صنفين ،صنف يضم الأساطير الدينية و ما احتوت عليه من عادات و تقاليد و معتقدات و صنف يضم الأساطير التاريخية التي تحفل بإخبار العرب و بطولاتهم و إحداثهم و

---

[1] ابو القاسم الشابي،**الخيال الشعري عند العرب** ،ص:30-31.

[2] ***المرجع نفسه***،ص:33.

كل ما له علاقة بالتاريخ العربي القديم و لقد ركز الشابي في بحثه على القسم الأول ذلك لان غايته من البحث في الأساطير العربية معرفة حظها من الخيال الشعري و هذا ما تعجز الأساطير التاريخية عن الإفصاح عنه على غرار الأساطير الدينية التي ستساعد الشابي على إبراز هذا الجانب و اكتشافه ،و لقد لخص الشابي من خلال البحث عن الخيال الشعري في الأساطير العربية الى ان هذه الأساطير "لا تنطوي على شيء من الفكر و الخيال و لا تمثل مظهرا من مظاهر الكون او عاطفة من عواطف الإنسان و انما هي انصاب بسيطة ساذجة شبيهة بلعب الصبية و عرائس الأطفال ...لا تفصح عن فكر عميق او شعور دقيق و لاترمز لمعنى من المعاني الثانية"[1].

فالشابي يرى ان الاساطير العربية لن تنل حظا من الخيال الشعري ذلك لأنها لم تحتوي على فكر عميق و لا خيال خصب يعبر عن فلسفتها للحياة و نظرتها للوجود بل جاءت وثنية جافة خالية من اي إحساس او شعور مرهف .ويرجع الشابي السبب في ذلك الى ان الأساطير العربية لم تحتوي على "التشخيص اي ان يخلع الإنسان على ما حوله من الأشياء ثوب الحياة و ينظر اليها كأرواح حية نامية تشاركه الحس و الحياة و انما كانت في الاكثر احتذاءللأمم الأخرى التي سبقتها الى التدين في معتقداتها الدينية "[2].

يري الشابي ان المعتقدات الوثنية التي احتوت عليها الأساطير العربية لم تمنحها صفة القداسة كما فعلت الأمم الاخرى بحيث ان الآلهة تنم عن تفكير عميق نجم عن التفكر و التأمل الكبير في سرائر الكون و خفايا الوجود لهذا حوت الالهة معني سامية على غرار الآلهة العربية التي لم تنم عن التفكير او معنى عميق و انما قامت على سبيل الاحتذاء و تقليد الأمم الأخرى في عبادة الآلهة و يستدل الشابي على ما خلص إليه ببعض الأمثلة من أساطير الأقدمين فمن الأساطير العربية أسطورة الغول و هو "حيوان خرافي يزعمون انه كريه المنظر شنيع الخلقة يألف

[1] ابو القاسم الشابي ،**الخيال الشعري عند العرب**،ص:34.

[2] **المرجع نفسه**،ص:34.

الغيران الموحشة و الفيافي المقفزة ليضلل الناس و يلهوا بالجماجم .... و منها الصدى او الهامة و هي طائر خرافي يزعمون أنه يخرج من رأس القتيل الذي ظل دمه و يقف على قبره هاتفا ."[1]

و غيرها من الاساطير التي نظر الشابي على انها أوهام و خرافة أكثر منها خيالا ما عدا أساطير النجوم التي لاحظ الشابي عليها شيئا من وضاءة و نظارة الخيال فحين لاحظ الشابي ان ما نسج حول الالهة في اساطير الإغريق و اليونان كان مفعما بالروح الشاعرة و الفلسفة الزاخرة التي يتعانق فيها الفكر بالخيال فمن اساطيرهم "ان الصدى جنية من نبات الجبال و الاودية و انها كانت خلابة المنظر و الحديث فمرت بيها يوما (هيرا) و كانت ذاهبة لتفاجئ زوجها مع بعض عشيقاته في إحدى مقاصر الاولنب فاستهواها صوتها حتى فاتها الغرض و فر كل العشيقات اللى ماويهن فتملك نفسها الغضب على الصدى فسلبتها قوة الكلام الا اعادة ما تسمع فأصبحت من ذلك الحين والهة حائرة تتلقف الاصوات لترجعها كانات الالم."[2]

فالشابي يرى ان الآلهة لدى اليونان او الإغريق هي عبارة عن فكرة او شعور او عاطفة توسم بها الإنسان معازي الكون و قوة الوجود.

فمن خلال ما سبق و ما خلص أليه الشابي في اعتبار الأساطير العربية لاحظ لها من الخيال الشعري فكما لا يخفى على الشابي أن الأساطير و ما احتوت عليه ما هو الا انعكاس لأفكار البشر و نظرتهم لهذا الجود ز ما ينطبع عليهم من شعور و إحساس راجع الى بيئاتهم التي يحيون فيها و هذا ما يفسر اختلاف الأساطير عن بعضها البعض فالأساطير تختزن بداخلها فكر امة و روحها و كل ما يتصل بها كما يبدو ان الشابي نظر للأساطير العربية من الناحية التي تخدم فكرته و تتلاءم مع نظرته و كأنما تعمد حجب المضيء و المنير من الأساطير العربية و إبراز

[1] ابو القاسم الشابي ،**الخيال الشعري عند العرب**،ص:36-37.

[2] **المرجع نفسه**،ص:40.

الجانب المشوه و المسيء فنحن لا نعترض عن تفضيل الشابي للأساطير الغربية و لكن لا يحق له ان يقلل من شأن التراث العربي و لا أن يستخف به.

ثم أن العرب قد اتخذت لنفسها سبيلا مغاير للتعبير عن ذاتها و نظرتها للوجود و ذلك عن طريق الشعر الذي يعد ديوان العرب الذي حمل إخبارها و تاريخها و أثاره ،و كلما تعلق بها على غرار الأممالأخرى التي اتخذت من الأساطير ترجمة لحياتها.

لم يتوقف بحث الشابي عن الخيال الشعري على الأساطير العربية فقط بل امتد ذلك الى البحث في الأدب العربي شعرا و نثرا مقتصرا على دراسة الصورة و يقدم لنا الشابي نموذجين من الصور و التي سينبني عليها موقفه من الصورة العربية.

ولقد انطلق الشابي في رصد الصور الشعرية في الأدب العربي في أربعة أدوار:الدور الجاهلي و الأموي و العباسي و الأندلسي ليعرف حضها من الخيال الشعري مقتصرا بحثه عن صورة المرأة و الطبيعة .حيث لاحظ الشابي خلو الدور الجاهلي و الأموي من الخيال الشعري أو شبه خلوهما منه ."لأن الشعر في هذين العصرين لم يكن من النوع الذي يشتعل خيالا و حسا و يتألق جمالا و فن و تحس النفس من ورائه بنشوة الشعر و تلهب العاطفة."[1]

ذلك ان صور الطبيعة حينما كانت ترد لدى الشاعر لم تكن عن طريق انفعال او شعور نشاء عن مؤثر خارجي بل كانت ترد في سياق الكلام مرور الكرام ،ولقد استدل الشابي ببعض الأمثلة من ذلك قول الأعشى:

[1]ابو القاسم الشابي ،**الخيال الشعري عند العرب**،ص:44.

ما روضة من رياض الحسن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل

يضاحك الشمس منها كوكب شرق موزر من عميم النبت مكتهل[1]

فما جادت به قريحة الاعشى من وصف جميل للروض كان سببه وصف محبوبته و لم يكن شعورا استفزه منظر جميل و قول عنترة عنه ليس ببعيد:

ولقد مررت بدار عبلة بعدها لعب الربيع بربعها المتوسم

جادت عليه كل بكر حرة فتركن كل قرارة كالدرهم

سحا وتسلبا بكل عشية يجري عليها الماء لم يترسم[2]

و ما لاذ عنترة الى وصف الربيع الا ما مر به من ذكريات العمر و شقاوة الشباب ولو ذاك لما أتى عنترة على هذا الوصف.

و قد رأى الشابي ان الشاعر حينما يعرض لوصف الطبيعة فإنما يعرضها عرضا أمينا خاليا من رقة الشعور و رهف الإحساس و قد لا يخلو أحيانا من الأناقة و طرافة من ذلك قول اوس بن حجر:

"إنيأرقت ولم تأرق معي صاح لمستكف بعبد النوم لواح

يا من لبرق أحيت الليل ارقبه في عارض كمضي الصبح لماح

دان مسف فويق الأرضهيدبه يكاد يدفعه من قام بالراح[3]"

---

[1]ابو القاسم الشابي ،**الخيال الشعري عند العرب**،ص:44.

[2]***المرجع نفسه***،ص:45.

[3]**المرجع نفسه**،ص:47.

كأنما بين أعلاه و أسفله فهذه الصورة التي يسترسل اوس بن حجر في ذكرها لم تكن الا نقلا لمظهر من مظاهر الطبيعة قد كان الشاعر يرقبه فلم يهتز له شعورا أو تحرك له ساكنا فحل و مضى وقال الشاعر ما رأى.

و يرد الشابي هذه النظرة الجافية التي طغت على هذين العصرين الى قسوة الطبيعة التي عاش فيها الشاعر التي لم تستطع ان تأجج عواطفهم ولا أن تحرك كيانه فبقي راكدا ككثبان الرمال التي تهبهب الريح عليها بين الفينة و الأخرى ،ثم أن العرب في هذين العصرين لم يختلطوا بغيرهم حتى يأثروا في طباعهم و يغيروا من مزاجهم .

وما ان أطل العصر العباسي على الحياة العربية حتى تغيرت الأذواق و امتزجت الطباع و تنوعت العادات و الأخلاق و كان ذلك عندما اختلط العرب بغيرهم من الشعوب من الفرس و الروم و قد أثر كل ذلك على الادب العربي حيث نسج هؤلاء شعرا مغايرا لما عرفه العرب و لم تألفه الحياة العربية و أضف الى ذلك أن العرب قد سكن الحواضر حيث ترنمو بطيب العيش و ترف الحياة .وهكذا أصبحنا نلمح أصوات الطبيعة و ألوانها البهية في هذا الوسط الذي يضج بعذوبة الحياة ورقة المنظر يطل علينا أبي تمام و البحتري بأشعار تطرب لها النفس من ذلك قول أبي تمام:

يا صاحبي تقصيا نظريكما تريا وجوه الا رض كيف تصور

تريا نهارا مشمسا قد شابه زهر الربط فكأنما هو مقمرا

دنيا معاش للورى حتى إذا جاء الربيع فإنما هي منظرا[1]

---

[1]ابو القاسم الشابي ،**الخيال الشعري عند العرب**،ص:51.

و نجد البحتري يقول:

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا من الحسن حتى كاد أن يتكلما

وقد نبه النور في غلس الدجى أوائل ورد كن بالأمس نوما[1]

فهذين الشاعرين قد استنطق الطبيعة فباحت لهما بأسرارها فاستطاع أن يعبرا عنهما أحسن تعبير .إلا أن هذا اللون لم يتفشى في الادب العباسي كما تفشى في الأدب الأندلسي حيث سكنت الطبيعة قلوب الشعراء و افتتنوا بوصفها و لنعرض من هذا الشعر منه ما قاله ابن خفاجة في سحر الطبيعة:

"لله نهر سال بطحاء أشهى ورودا من لمى الحسناء

متعطف مثل السوار لأنه و الزهر يكنفه مجر سماء

قد رق حتى ظن قرصا مفرغا من فضة في بردة خضراء"[2]

ويقول ابن زيدون:

كان عشي القطر في شاطئ النهر وقد زهرت فيه الازاهر كالزهر

تعش بهاء الورود رشا وتنثني لتغليف أفواه بطيبة الخمر[3]

[1] ابو القاسم الشابي ،**الخيال الشعري عند العرب**،ص:52.

[2] ***المرجع نفسه***،ص:57.

[3] ***المرجع نفسه*** ،ص:58.

إلا ان الشابي قد لاحظ ان الشعر الأندلسي لم يمتلك روعة الخيال و لا دقة الشعور بالرغم من براعته في الوصف و خلابته في الأسلوب و ذلك أنه قد نظر للطبيعة على أنها نشوة أو شهوة تغمره و تهز عواطفه على غرار الأدب العباسي الذي تسامى بمعاني الطبيعة و عبر عمق الشعور .

بعد هذا العرض السريع الذي قام به الشابي في الأدب العربي منتقيا منه نماذج متنوعة راح يقارن بينهما و بين نموذجين من الأدب الغربي لشاعرين لامرتين و جيتي بغية معرفة الفرق ما بين الأدب العربي و الغربي في الحديث عن الطبيعة ووصفها و حظها من الخيال الشعري.

يقول لامرتين:"إن الطبيعة أكبر قساوسة الله و أمهر مصوري شعرائه و أبرع مغنيه،و أنك لتجد في عش العصفور تناغم فيه أفراخه تحت رفرف الهيكل الدارس و في أنفاس الرياح تهب من البحر حاملة إلى أديرة الجبل المقفزة خفوق الشرع و أنين الامواج و غناء الصيادين..."[1]

5/موقف الشابي من النقاد القدامى :

لقد تميز الشابي في خطابه النقدي عما سبقه و انفرد برؤيته النقدية في قضية الخيال , ذلك ان النقد العربي القديم لم يقف عند هذه القضية , الا لأجل دراسة طريقة أداء التخييل او استنباط القواعد و المعايير التي تقوم عليها عملية التخييل و كيفية انجازها , ولتوضيح وتبيين هذه الفكرة سنورد بعض الامثلة لندلل عنها , فمن حيث طريقة اداء التخييل , نجد من اعتبر التخييل ملكة من ملكات الإدراك الذهني , وذلك ماذهب اليه الفلاسفة المسلمين حيث قاموا بتقسيم ملكات الإدراك الى ذاهر و باطن وغيرها من الامور التي تتصل بعملية الإدراك , من اجل معرفة كيفية عمل الخيال على مستوى الدماغ ومنهم من درس عملية التخييل في ضوء البلاغة من ذلك ماذهب اليه حازم القرطاجني , حيث رأى ان عملية التخييل تقوم على أربعة عناصر , حيث يقول " التخييل في الشعر

[1] ***ابو القاسم الشابي ،الخيال الشعري عند العرب*** ،ص:61.

يقع من أربعةأنحاء: من جهة المعنى , ومن جهة الأسلوب , ومن جهة اللفظ , ومن جهة النظم و الوزن ".[1] فقد فصل حازم القرطاجني في كتابه منهاج البلغاء , وسراج الأدباء ,كيفية عمل الخيال في ضوء هذه العناصر الاربعة .

ولقد جاء تقسيم عبد القاهر الجرجاني للمعاني على أساس أخلاقي , حيث قسم المعاني الى قسين : قسم تخيلي و قسم عقلي ثم راح يخضع كلا القسمين الى معياري الصدق و الكذب حيث يقول :"اما القسم التخييلي فهو الذي لايمكن ان يقال انه صدق , وان ما اثبته ثابت , وما نفاه منفي ,وهو مفتن المذاهب , وكثير المسالك....."[2]

وقد خلص عبد القاهر الجرجاني الى هذا المعنى كون ان المعاني التخييلية قد يقع فيها شيء من التفخيم للرذيلة او الفضيلة , لذلك نفى ان يقع في التشبيه او الاستعارة او التمثيل شيء من التخييل , ذلك ان هذه الاساليب قد وظفت في القران الكريم .

كما اجتهد النقاد في وضع قوالب من شانها ان تسهل صياغة الصور الفنية , حيث نرى حازم القرطاجني يعرض للمعاني من جهة مطابقتهاللغرض حيث يقول : "واحسن مواقع التخييل : الامور السارة في التهاني , والامور المفجعة في المراثي ..." [3]

كما اشترط في المثال ان يكون "المحاكي به معروفا ...ولا يحس ان يكون مما ينكر ويجهل ...وينبغي ان تكون الأوصاف التي تشترك فيها المثال أشهر صفاتها او من أشهرها "[4]

---

[1] حازم القرطاجني : ***منهاج البلغاء وسراج الادباء*** , , ص79.

[2]عبد القاهر الجرجاني , ***اسرار البلاغة*** ,ص205,204.

[3]حازم القرطاجني :***منهاج البلغاء وسراج الادباء*** , ص:79.

[4]***المرجع نفسه*** ,ص80.

ويرجع اخضاع النقد العربي القديم عملية التخييل للمعايير الأخلاقية و البلاغية ذلك ان النقد آن ذاك كانت تسيطر عليه النزعة الدينية و اللغوية , حيث اشتغل بضبط القواعد اللغوية . اما من حيث انجاز الفعل التخييلي ففي نظر النقد القديم لايقومإلا من جهة التأثير على النفس وذلك بترغيبها في شيء ما او تنفيرها منه , وقد افرد حازم القرطاجني مجلدا كاملا للحديث عن قوة تأثير التخييل على نفس المتلقي , فلقد جاء تعريفه للتخييل منصبا على هذه القوة حيث يقول : "والتخييل ان تتمثل للسامع من لفظ الشاعر المخيل او معانيه او أسلوبه ونظامه , وتقوم في خياله صورة او صور ينفعل لتخيلها وتصورها , او تصور شيء اخر بها انفعالا من غير الرؤية الى جهة من الاستنباط او الانقباض "[1]

فالتخييل في تصور حازم ما هو الا اثارة للنفس استجابة للشيء المخيل مما يدفعه الى اتخاذ سلوك معين اتجاه ذلك الشيء ."والتخييل الشعري . من هذه الزاوية . عملية ايهام موجهة تهدف الى اثارة المتلقي اثارة مقصودة سلفا".[2]ولأن التخييل اقرب من اي شيء اخر للنفس بحيث يقوم على تقبيح او تحسين شيء في النفس فقد حصر القدماء وظيفته في تمثيل الأخلاق الحسنة والإشادة بها .

فهذه الرؤية النقدية الصارمة التي لاتقفه سوى القوانين والمعايير لم تسهم في تطوير الحركة الأدبية ولا في إزهارها بل على العكس تماما فقد أجبرتها على حمل أعبائها بحيث ظلت الحركة الأدبية حبيسة التقليد .

ففي ظل هذه الصرامة النقدية انطفأت شعلة الإبداع الفني التي اخذ الشابي على عاتقه مسؤولية إحيائها و النهوض بها من جديد , ويقاض الروح النقدية التي أبعدتها عن الفنية و الجمالية , ولهذا جاء موقف الشابي مخالفا لمن سبقه , رافضا للرؤى النقدية القديمة .

---

[1] ***حازم القرطاجني :منهاج البلغاء وسراج الادباء***, ص99 .

[2] جابر عصفور ,***مفهوم الشعر ,دراسة في التراث النقدي***, ص196.

رأينا كيف رفض الشابي المنظور النقدي القديم في تناوله لقضية الخيال الشعري بعيدا عن الفنية و الجمالية , مما منعه من الولوج لجوهر هذه القضية بحيث بقي يدور في فلك تفسير هذه الظاهرة و تحليلها غير مدرك انها خاصية ابداعية لايتصف بها الا الشاعر الكبير القادر على اكتشاف خفايا الامور التي تبصرها العيون ولاتدركها العقول , هذه الحقيقة التي لم يعيبها الدرس النقدي القديم والتي سعى المحدثين لإثباتها في الدرس النقدي الحديث , ومن ثم جاء الشابي مسايرا للمحدثين .

6/ الفكر النقدي عند الشابي ضمن أطروحات النقد الغربي الحديث

لقد شكل ظهور الرومانسية في النقد العربي الحديث منطقا حاسما فمع المظامين الادبية التي اصبحت تنزع الى الفنية و الجمالية بعيدا عن التقليد , حيث شغل هذا ألون الجديد الساحة النقدية وبدأ النقاد في تدارسه وتناوله بالبحث و التحليل حيث توصل النقاد المحدثين الى مانتج من ابداع فني في العصر الحديث كان وليد الخيال المبدع ومن ثم انصب اهتمام النقاد المحدثين على دراسة الخيال في ضوء النظريات و المفاهيم الحديثة , مما شكل فهما جديدا لمصطلح الخيال ردده العديد من النقاد المحدثين في مقولاتهم المختلفة .

وتعد الديوان المنظومة النقدية الجديدة في النقد العربي الحديث , حيث شكلت مذهبا جديدا في النقد سارت عليه جميع الجماعات النقدية التي ظهرت بعدها و احتدت بمذهبها , ومما جدّ لدى الديوان مفهوم الخيال , حيث ميزوا بين الخيال الشعري و الخيال العام فالخيال عندهم :" ...لايقاس بما وظف الشاعر من تشبيهات واستعارات ولكن يقاس بما وظف من خيال استطاع ان يتفرد به عن الخيال العام ويتميز عنه"[1].

لقد خالفت جماعة الديوان المنزور النقدي القديم في نظرته للخيال الشعري على انه صناعة لفظية يتنافس فيها الشعراء في حشد الصور على ما طابق فنون البلاغة التي مالبث النقاد القدماء يرفضونها على الشعر حتى غدا الشعر خطابة في غياب الخيال وكبح الإبداع , بينما الخيال استجلاء للعواطف و مخالفة العهود و الخروج عن المألوف ومكمن الإبداع الفني ومحط تفاضل بين الشعراء وأعظم ميزة في الشعر , ولما صار الخيال على هذا النحو من الفهم أصبح يمثل اهمية وقية علية في الشعر , الا أن جماعة الديوان لم تطلق العنان للخيال حتى يصير

[1] محمد الصديق معّوش , ***المصطلح النقدي عند جماعة الديوان*** ,مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الادب العربي تخصص نقد علربي ومصطلحاته ,جامعة قاصدي مرباح , ورقلة ,2012.6.6 , ص58

صنعة و تكلف , حيث نفت ان يكون الخيال :"رخصة تعفي القائل من حساب العقل و الواقع , وتتيح له مناقضة العقل و الصواب ...".[1]

فهم رفضوا المغالات والاغراق في الخيال حتى لايتحول الى ايهام وتضليل ,كما رفضوا في ذلك الوقت " الزعيم القائل بان الخيال هو القول المفروض من قائله انه لايصّدق ولا يناقش في شيء مما يزعم ".[2]

نلاحظ كيف استطاعت جماعة الديوان ان تضبط مفهوم الخيال , وذلك من خلال الاستفادة من المغالطات التي وقع فيها النقد العربي القديم , و الاستفادة مما جدّ من نظريات و مفاهيم في العصر الحديث , ولقد اثرت آراء هذه الجماعة بشكل كبير على الساحة النقدية , ولعل هذا ما دفع الشابي ليدل بدليله في هذا المجال من خلال كتاب الخيال الشعري عند العرب ليكون بذلك رؤية نقدية تجديدية في النقد العربي حول قضية الخيال على ضوء المفاهيم و النظريات المستحدثة .

فمثلا عبد السلام المسدي يرى ان الشابي في كتابه الخيال الشعري عند العرب قدكان يحاكي فيه ما جاء به محمد الخضر حسين في كتابه الخيال في الشعر العربي ,وانما جاء على شيء مغاير له ,وذلك ان الشابي قد استحب ماقاله محمد الخضر حسين في الخيال الشعري لولا ان سبقه الى ذلك فأتى على معارضته فيما قاله .

كما رأى عبد السلام المسديأن غاية الشابي من وراء تأليفه للخيال الشعري عند العرب قد أراد " ان يحمي الناقد من عسف الإقصاء وان يؤّمن له حق الاختلاف ,وان يضمن له الجميع براءة التأويل في المقاصدة ".[3]

وطبيعي ان تقابل آراء الشابي بالرفض وهو يقدم رؤية يهدم بها التراث العربي ويحط من قيمته ويهزأ بثقافته ومهماكان الباعث لهذه الرؤية ,فلايحق للشابي ان يهزأ بالتراث ولا ان يحط من قيمته فهو يحمل حضارة

---

[1] محمد الصديق معوش،**المصطلح النقدي عند جماعة الديوان** ، ص:58.

[2] **المرجع نفسه**،ص58..

[3] عبد السلام المسدي:***ابو القاسم الشابي في ميزان النقد الحديث*** ,ص45.

وثقافة أمة لايجوز ان نستهين بها بأي حال من الأحوال ولهذا سارع النقاد لوضع حد لمثل هذه الآراء و الرؤى حتى لا تجتاح الساحة النقدية ولاتحيد بالوجهة النقدية .

ولانظن ان الشابي حينما عرض رؤيته النقدية من خلال الخيال الشعري عند العرب لم يكن يتوقع هذا الرفض الشديد و الهجوم القوي على ماصدر منه من آراء تعارض وتخالف الثقافة العربية , ومع ذلك ظل متمسكا بموقفه النقدية حتى وان خالفه مجتمعه , ولهذا نجد ان الشابي قد اصرّ ان تطبع محاضرته كما القاها من غير تعديل او تحوير .

خاتمـــــة

بعد هذه الدراسة التي تتبعنا فيها ظاهرة الخيال في الدراسات النقدية في القديم و الحديث وصلنا إلى نوع من التباين في مفهوم الخيال في الدراسة النظرية حيث وجدنا ان الآراء قد تفاوتت في تحديد ماهية الخيال كل ناقد يعرفه حسب مذهبه فهناك من اعتبره انه نوع من الجنون العلوي و هناك من عرفه على انه ملكة كما عرفه البعض انه جوهر العلمية الابداعية.

و كما إننا قدمنا دراسة تطبيقية حول الخيال رفقة الشابي من خلال كتاب الخيال الشعري عند العرب الذي نظر فيه الشابي لمصطلح الخيال على ضوء النظرية الرومنسية حيث راح الشابي يتقضى هذا المفهوم في التراث العربي بغية الوقوف على مواطن الضعف و القوة و لقد كشفت لنا هذه التجربة النقدية عن مرحلة جديدة في تاريخ النقد العربي و توصلنا في نهاية المطاف إلى مجموعة من النتائج نلخصها كما يلي :

* الخيال يكشف لنا عن مرحلة جديدة في تاريخ النقد العربي و انتقاله من المعيارية الصارمة إلى البحث عن الفنية و الجملية .

* النقد العربي على نظريات و مذاهب غريبة ساهمت في توسيع المنظور النقدي العربي.

*تشكل الوعي النقدي لدى النقاد المحدثين ، مما أكسبه الجرأة على الخوض في التراث النقدي و مسائله المختلفة بأدوات و أساليب نقدية جديدة .

*انفتاح النقد العربي على نظريات و مذاهب غربية ساهمت في توسيع المنظور النقدي العربي .

وهذا لايمنع وقوعنا في بعض الهفوات التي لا تخلو منها أي دراسة ، والتي يجدر بنا الإشارإليها وهي كالأتي :

❖ غياب الخبرة والوعي ،حيث نجد الشابي يسوق أراءه على شكل مسلمات لابد بها وعدم مخالفتها

- ❖ عدم التمكن من المنهج حيث نجد الشابي قد اغفل الشرط البيئي و التاريخي و الإستماعي و هي من مقومات المنهج التاريخي.
- ❖ الاستقراء الناقص للظاهرة مع تعميم الأحكام و إصدار الأحكام الجازمة.

و في الأخير نجد ما قام بيه الشابي من خلال الخيال الشعري عن العرب جهاد قريحة بذل صاحبها جهدا كبيرا في بناءها و نظمها و لا بد علينا نحن كدراسيين تثمين الجهود و تمحيص الرؤوس فأما الزبد فيترك و إما ماينفع الناس فيأخذ بيه.

و في الأخير ارجوا أن كونوا قد وفقنا في إبراز المسائل الشعرية لأبي قاسم الشابي و من تقديم مادة بحثية قيمة لتكون إضافة في مجال الدراسات النقدية و البحث العلمي .

قائمـــة

المصادر و المراجع

1/ المصادر:

- *ابو القاسم الشابي ،الخيال الشعري عند العرب ،اعداد و تقديم ابو قاسم محمد كرو،دار صادر ،بيروت،ط1 1999م.*

2/المراجع باللغة العربية:

- ابراهيم عبد القادر المازني،***حصادالهشيم***،دار المعرف،مصر،1999م.
- ابن سينا :فن الشعر ، ***من كتاب الشفاء ضمن فن الشعر*** ،ترجمة عبد الرحمان البدوي ،دط،دار الثقافة ،بيروت ،1973م.
- ابن منظور، **لسان العرب** ،دار صادر بيروت،لبنان،1990،د ط .
- ابو حسن بن عبد الله بن سينا،***شرح كتاب النفس*** ،نقلا عن الفت كمال الربي :نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد،ط1،دار التنوير،للطباعة و النشر ،بيروت لبنان ،1983م.
- ابو علي الحسين بن عبد الله بن سينا :***النجاة في المحكمة المنطقية و الطبيعية و الالهية***،ط2،مطبعة السعادة ،القاهرة،1938م.
- ابو نصر بن طرخان الفرابي:***احصاءالعلوم،تحقيق عثمان امين*** ،دط،دار الذكر العربي،القاهرة ،1948م.
- ابو يوسف يعقوب بن اسحاق الكندي،***رسائل الكندي الفلسفية***، تحقيق محمد عبد الهادي ،دط،دار الفكر العربي،القاهرة ،1950،ج1.
- احمد بن فارس ، **مقاييس اللغة** ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، ج،1982.

- احمد علي دهمان :***الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني منهجا و تطبيقا***،ط1،دار طلاس،دمشق،1986م، ج2.
- احمد كمال زكي :***النقد الادبي اصوله و اتجاهاته*** ، دط،دار النهضة العربية للطباعة و النشر ،بيروت ،1981م.
- ارسطو طاليس:**كتابالنفس**،نقله الى العربية احمد فؤاد،دار احياء الكتب العربية،ط1962،2.
- أرسطوطاليس،***كتاب ارسطو طاليس في الشعر*** ،نقله الى العربية بشر متى بن يونس،تحقيق عبد الرحمان بدوي،دار النهضة المصرية ،1953م.
- افلاطون:***جمهوريةافلاطون***،نقله الى العربية حنا خباز-بيروت- 1969م.
- بشير تاوريت،**رحيقالشعريةالحداثية**،مطبعةمزوار،دط،دت.
- تزفيطانتودوروف،***الشعرية***،ترجمة : شكري المبخوتو رجاءبن سلامة، دارتوبقال،ط 2 .
- جابر عصفور , ***الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب*** ,دار النشر المركز الثقافي العربي ,بيروت ,ط2.
- جابر عصفور ,***مفهوم الشعر ,دراسة في التراث النقدي*** , مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- جابر عصفور، ***الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب*** ، دار النشر المركزي الثقافي بيروت ، ط3 ، 1992م.
- جارالله الزمشجري،**اساس البلاغة**، المكتبة العربية للطباعة و النشر،بيروت،2003.
- جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**،**الشركة العالمية**للكتاب،بيروت، لبنان ،1991.
- جون كوهن،**النظرية الشعرية** ،ترجمة احمد درويش،دار غريب القاهرة.
- حازم القرطاجني : ***منهاج البلغاء وسراج الأدباء*** , الدار العربية للكتاب ,تونس , ط3 , 2008 م.

- حازم القرطاجني ، ***منهاج البلغاء وسراج الادباء تقديم و تحقيق الحبيب ابن الخوجة*** ، الدار العربية للكتاب ، تونس ط3 ،2008م .
- حازم القرطاجني،منهاج***البلغاء و سراج الادباء محمد الحبيب بن خوجة*** ،دار الكتب الشرقية ،تونس ،1966م.
- حسن ناظم، **مفاهيم الشعرية**، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء، المغرب، ط4، 1994
- الحسين الحابل،**الخيال أداة للابداع**،مطبعة المعارف الجديدة،الرباط المملكة المغربية، 1988.
- حمادي صمودي ،***الشعر وصفة الشعر في التراث*** ،مجلة فصول،مج6،العدد08،الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ،1985م.
- روز غريب:***تمهيد في النقد الادبي***،دار المكشوف،بيروت،1971م،ط1.
- رومان جاكبسون ، ***قضايا الشعرية*** ،ترجمة محمد الولي ومبارك حنون ، دار توبقال ، ط 1 .
- الزمخشري،**أساسالبلاغة**،دارصادر،بيروت،مادة " شعر ".
- سهير القلماوي:***فن الادب المحاكاة***،مكتبة الحلبي،القاهرة،1953.
- *سير موريس بورا،**الخيالالرومنسي**،الهيئة المصرية للعامة للكتاب ،القاهرة،1977م.*
- سيرموريس بورا ,***الخيال الرومانسي*** ,ترجمة ابراهيم الصرفي ,الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- شوقي ضيف ،***في النقد الادبي***،دار المعارف القاهرة،ط2.
- *عاطف جودة نصر،**الخيال مفهومه ووظائفه**،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،مصر ،1984م.*
- عاطف جودة نصر،***الخيال و مفهوماته ووظائفه***،دط،الهيئة المصرية العامة للكتاب 1984م.
- عبد الرحمان شكري،***ديوان زهرة الربيع***،مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ،مصر،2012م
- عبد السلام المسدي:***ابو القاسم الشابي في ميزان النقد الحديث*** ,نشر وتوزيع تونس،1996م

- عبد القادر هيلي،***نظرية الإبداع في النقد العربي القديم*** .
- عبد القاهر الجرجاني ، ***اسرار البلاغة تحقيق محمد الفاضلي*** ، المكتبة المصرية صيدا بيروت ط3، 2001م.
- عبد القاهر الجرجاني ،***اسرار البلاغة*** ،تحقيق محمد الفاضلي ،ط2،المكتبة العصرية ،بيروت،1999م.
- عبد الله محمد الغذامي،**الخطيئة و التكفير**.
- عثمان موافى ، ***في نظرية الادب من قضايا الشعر و النثر في النقد العربي القديم*** ، دار المعرفة الجامعية ،(ب ط ب ت) ، مطبعة ياسو اسكندرية ،ج1.
- علي محمد هادي الربيعي:***الخيال في الفلسفة و الدب و المسرح***،دار صفاء للطباعة و النشر ،2012،ط1.
- عمار حلاسة ,***نظرية الشعر*** , دار البيروني للنشر والتوزيع ,الاردن , عمان , ط1.
- الفرابي:***احصاء العلو***م.
- الفيروز ابادي، **القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة** ، 2005،ط2.
- كمال نشأة، **النقد الادبي دراسة و تطبيق**،مطبعة النعمان،1970.
- مجدي وصبة، **معجم مصطلحات الادب** ، مكتبية لبنان، بيروت،1974م.
- محمد بن احمد ابن طباطبا:***عيار الشعر*** ،تحقيق طه الحاجري و محمد زغلول سلام ،دط،المكتبةالتجارية،القاهرة.
- محمد زكي العشماوي ،***قضايا النقد الادبي بين القديم و الحديث*** ، دار النهضة العصرية للطباعة و النشر ، بيروت (ب،ط،ب،ت) .
- محمد زكي العشماوي،***دراسات في النقد الادبي المعاصر*** ،دار الشروق ،1994م،ط1.

- محمد غرام:***المصطلح النقدي في التراث الادبي العربي*** ،دط،دار الشرق العربي
- محمد غنيمي هلال ،**الادب المقارن دار الثقافة** ،(ب ط ب ت) بيروت لبنان .
- محمد غنيمي: ***النقد الادبي الحديث***،دار نهضة مصر،القاهرة.
- محمد مصايف:***جماعة الديوان في النقد*** ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر،1982،
- مرشد الزبيدي،***اتجاهات نقد الشعر العربي في العارق*** ،اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999
- مصطفى بدوي،***كولردج***،دار المعارف،1998م،ط1.
- مصطفى جوزو :***نظريات الشعر عند العرب –الجاهلية و العصور الإسلامية***-دار الطليعة للطباعوالنشر،بيروت،لبنان ، ط1،ج1.
- مصطفى درويش ,**تشكل الذات و اللغة في مفاهيم النقد المنهدي**,دار الامل و النشر و التوزيع .
- معجم اللغة العربية ،**المعجم الوسيط، ج1**،ط3.
- نور ثروب فراي ,***الخيال الأدبي*** ,ترجمة حنا عبود ,منشورات وزارة الثقافة , دمشق .
- يوسف الإدريسي ، ***التخيل والشعر منشورات ضفاف*** ، بيروت لبنان ط1، 2012م .

3/المراجع باللغة الاجنبية

- Jeau pierre mével.larousseparis.geneoiéreluibelot.larosse de la langue francaise.librairie.1977.
- Patrikbacry.milenemoussemaine.larousse dictionnaire .imprimé en France.1999.

5/المذكرات و الرسائل:

- محمد الصديق معّوش , ***المصطلح النقدي عند جماعة الديوان*** ,مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الادب العربي تخصص نقد عربي ومصطلحاته ,جامعة قاصدي مرباح , ورقلة .2012م.

6/المجلات:

- عباس محمود العقاد،***الفهم***،مجلةالثقافة،السنةالاولى،القاهرة ،1939،ص:5،نقلا عن شكري محمد عباد ***المذاهب الأدبية و النقدية عند العرب و الغربيين*** ،الكويت،دط،1993م

فهـــــــرس

المحتويـــــــات

المحتوى	رقم الصفحة
كلمة شكر و عرفان	
مقـــدمـــــة.....	أ-ت
مدخل نظري مفاهيمي	
تمهيد.....	6
أولا:الشعرية المصطلح و المفهوم.....	7
أ-الدلالة المعجمية	7
ب-الدلالة الاصطلاحية.....	8-7
ج-مفهوم الشعرية عند جون كوهن.....	9-8
د-مفهوم الشعرية عند تودوروف.....	10-9
هـ- مفهوم الشعرية عند رومان جاكسون.....	11-10
الفصل الاول:الخيال:جينيالوجيا المصطلح	
تمهيد.....	13
أولا:الخيال المصطلح و المفهوم	14
أ-الدلالة المعجمية.....	15-14
ب-الدلالة الاصطلاحية.....	16-15

ثانيا: مفهوم االخيال في الدراسة الغربية.....	17
1/الخيال في التراث الاغريقي.....	17
أ-مفهوم الخيالعند افلاطون.....	18-17
ب-مفهوم الخيال عند ارسطو	20-19
ثالثا: الخيال في التراث النقدي العربي.....	20
1-الخيال عند العرب المسلمين.....	21
أ/مفهوم الخيال عند الكندي.....	21
ب/مفهوم الخيال عند الفرابي.....	24-22
ج/مفهوم الخيال عند ابن سينا.....	26-24
2/الخيال عند النقاد و البلاغيين.....	27-26
أ/مفهوم الخيال عند ابن طباطبا.....	28-27
ب/مفهوم الخيال عند عبد القاهر الجرجاني.....	30-28
ج/مفهوم الخيال عند حازم القرطاجني.....	32-30
رابعا-مفهوم الخيال في النقد الحديث.....	33
1/مفهوم الخيال في النقد الغربي الحديث.....	33
أ/مفهوم الخيال عندكانت.....	34
ب/مفهوم الخيال عند تيلر كولردج.....	36-34
ج/مفهوم الخيال عند وليم وردزروش.....	37-36

2/مفهوم الخيال في النقد العربي الحديث.....	37
• جماعة الديوان.....	38
أ/مفهوم الخيال عند عبد الرحمان شكري.....	40-38
ب/مفهوم الخيال عند العقاد.....	40
ج/مفهوم الخيال عند المازني.....	42-41
خلاصة.....	44-43
الفصل الثاني:مسائل الخيال في كتاب الخيال الشعري عند العرب للشابـــي	
أولا:رؤيةأبي القاسم النقدية للخيال	46
أ/الخيال بين التراث النقدي و الرؤية الحديثة	47-46
ب/موقف الشابي من الآراء النقدية للفلاسفة المسلمين.....	48
ج/موقفه من البلاغيين في مصطلح الخيال.....	54-49
د/موقف الشابي من الخيال العربي.....	62-55
هـ/موقف الشابي من النقاد القدامى	65-62
ثانيا: الفكر النقدي عند الشابي ضمن أطروحات النقد الغربي الحديث.....	68-66
خاتمة.....	71-70
قائمة المراجع.....	78-73
فهرس المحتويات.....	83-81